



## The resilience of the Arab spirit against all attacks

Dr. Mohammed Hamerass <sup>1</sup>

<sup>1</sup>: University of Relizane, Algeria, [mohammed.hamerass@univ-relizane.dz](mailto:mohammed.hamerass@univ-relizane.dz)

### Abstract:

Language is the one that expresses the constants of the nation and its entity. It shows the extent to which it is related to its origin as it is not just a set of symbols and forms that indicate a certain meaning only, but it is also an indicator of the existence of the nation in what distinguishes it from others. Therefore, language expresses the history of the nation and the human heritage it possesses in order to live with it as well as by it. It is the language in which the Quran has been revealed, and it is the word of God that is characterized by perfection. It is the language of Islam by which Muslims worship their God, draw closer to him, read their prayers and supplications. So, what are the challenges that faced Arabic throughout history, and what is its recent situation in the Arab institutions? I have relied on history to mention its supporters and opponents, highlighting its strength thanks to its supporters using Quran texts.

**Key words:** Arabic - Standard Language – colloquial dialect - Orientalism.

**Received:** 18 May 2025

**Revised:** 09 Aug 2025

**Accepted:** 25 oct 2025

## شموخ العربية أمام كلّ الضربات

د حمراس محمد <sup>1</sup>

<sup>1</sup>: جامعة غليزان – الجزائر، [mohammed.hamerass@univ-relizane.dz](mailto:mohammed.hamerass@univ-relizane.dz)

الملخص:

اللغة هي التي تعبّر عن ثوابت الأمة وكيانيتها، وتبيّن مدى ارتباطها بأصلها، فهي ليست مجرد رموز وأشكال تدلّ على معنى معين فحسب، ولكنها أيضا رمز لوجود الأمة بما تتميز به عن غيرها. تعبّر عن تاريخ الأمة وما تملكه من تراث إنسانيّ دونته بأنفاسها لتحيا معه وتعيش به. هذه اللغة هي التي نزل بها القرآن؛ كلام الله المتّصف بالكمال، ولا يأتي من الكامل إلا الأكمل، هي لغة الدين الإسلامي، يتعبّد بها ناطقها، ويتقرّب بها إلى ربه، يناجيه بها في صلاته، ويدعو بها في دعائه، ويقرأ بها آيات كتابه. فما هي التحدّيات التي واجهتها اللغة العربيّة عبر التاريخ، وما حالها اليوم في المؤسسات العربيّة. وقد اعتمدت على التاريخ في ذكر المهاجمين لها والمدافعين عنها، مبرزًا قوتها بفضل مؤيدين لها بنصوص من القرآن.

الكلمات المفتاحية:

العربية – اللغة الفصحى – اللهجة العاميّة – الاستشراق .

اللغة هي المستودع الذي يحفظ ذاكرة تطوّر الأُمّة وهويّتها، تصقل طبائعها، وتشهد على نموّ فكرها. وهو ما يؤكّد على انتمائها إلى أصلها ومنبعها، وذلك لأتّها من الثوابت التي تعبّر عن كينونتها ومدى ارتباطها بأصلها. من هنا لا يمكن أن تكون اللغة مجرد رموز وأشكال تدلّ على معنى معيّن فحسب ولكنها أيضا هي رمز لوجود الأُمّة بما تتميز به عن غيرها، فاللغة تعبّر عن تاريخ الأُمّة وما تملكه من تراث إنسانيّ ضخم دوّنته بأنفاسها لتحيا معه وتعيش به، عاكسة وجدان الأُمّة وامتدادها عبر الزمان وبخاصّة إذا كانت هذه اللغة هي كلام الله المتّصف بالكمال، ولا يأتي من الكامل إلا الأكمل، وهي لغة دينه الإسلاميّ، يتعبّد بها قائلها ويتقرّب بها إلى الله، يناجي بها ربّه في صلواته ويدعو بها في دعائه ويقرأ بها آيات كتاب ربّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ ذلك أنّ "الدين والملة صورة للوجود وللملك. وكلّهما موادّ له، والصورة مقدّمة على المادّة، والدين إنّما يستفاد من الشريعة، وهي بلسان العرب لما أنّ النّبّيّ صلّى الله عليه وسلّم عربيّ، ... فصار استعمال اللسان العربيّ من شعائر الإسلام وطاعة العرب"<sup>1</sup> وهذا يعني أنّها الشرعيّة في الهويّة والوجود.

وما كان الله ليجعل هذه اللغة حاملة للقرآن لو كانت لغة عاجزة فقيرة غير قادرة على إيصال المعنى المرغوب بدقّة متناهية، فهي أغنى اللغات بما تمتلك من مفردات تعدّ بالملايين لا يمكن لأيّ لغة أخرى أن تنافسها في ذلك، ولقد أكّد التاريخ أنّها لغة حملت ثقافات العالم كلّها عندما كانت السلطة الحاكمة غالبية تقود العلم والعلماء مخفيّة تحت جناحها كلّ لسان أعجبيّ قد أبكّمته لعدم ندّيته لها.

يرى ابن خلدون أنّ اللسان العربيّ يقوم على أربعة أركان هي: اللغة، والنحو، والبيان، والأدب<sup>2</sup>؛ والمقصود باللغة ألفاظها التي استعملت في غير مواضعها فكان لا بدّ من التأليف في المعاجم. ويقصد بالأدب "الإجادة في فنيّ المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم"<sup>3</sup>، وأمّا النحو فهو تلك القواعد التي تهتمّ بالحركات الإعرابية، والتي من دونها لا يمكن قراءة النصّ قراءة صحيحة بله فهمه. حيث "استنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطّردة شبه الكلّيّات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه"<sup>4</sup> وهكذا وجد علم النحو من أجل فهم المعاني على طريقة العرب. وأمّا البيان فهو متعلّق بما تفيده الألفاظ الدالة عليه من المعاني من خلال تصوّر مفردات تُسند وتُسند إليها أو تميز المسندات من المسند إليها، وثمرة البيان/ علم البلاغة إنّما تكمن "في فهم الإعجاز من القرآن لأنّ إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكمال مع الكلام فيما يختصّ بالألفاظ في انتفاؤها وجوده رصفها وتركيبها وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه"<sup>5</sup> وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ كلّ هذه القواعد التي تقوم عليها اللغة العربيّة إنّما كانت بسبب الخوف من ترك القرآن وهجره باعتماد ما قبله من نتاج شعريّ ونثريّ لا يفهمه أحد إلا من خلال هذه القواعد.

## 2 - النصّ العربيّ وبناء قواعده.

لا يمكن فهم النصّ العربيّ - قرآنا أو حديثا أو شعرا - ما لم يتمكّن القارئ من قواعد هذه اللغة التي تقوم عليها وتميّزها عن غيرها. فاللغة فعل لسانيّ، أساسه قصديّة المتكلّم إفادة الكلام من خلال عبارة المتكلّم عمّا يريد أن يوصله إلى المخاطب، وحتىّ يكون فصيحاً عليه أن يتدرّب عليها لتصبح ملكة فيه، وهذه الملكة - مقارنة بغيرها - هي "أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني. مثل الحركات التي تعيّن الفاعل عن المفعول من المجرور، أعني المضاف. ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال، أي الحركات، إلى الدّوات من غير تكلف ألفاظ أخرى. وليس يوجد ذلك إلا في

لغة العرب، وأما غيرها من اللغات فكلّ معنى أو حال لا بدّ له من ألفاظ تخصّه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم من مخاطباتهم أطول ممّا تقدّره بكلام العرب<sup>6</sup>. وقد كان العربيّ - قبل نشأة القواعد - يتكلّم هذه اللغة سليقة حتى إذا بدأ الاختلاط بالعجم طفقت تلك الملكة تتغيّر متأثرة بسماعها للأخر وانتشر فيها الفساد باعتياد السمع وهو ما جعل العلماء يفكّرون في ضبط هذه القواعد التي تقوم أساسا على حفظ اللسان العربي وقدرته على التواصل مع النصّ العربيّ الأصيل.

### 3 - بدايات اللحن ومحاولات تصويبه:

لاحظ العلماء قديما انحراف الكتاب عن اللسان العربي الفصيح فألّفوا في ذلك كتباً لتصحيح أخطائهم ومن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر\* - كتاب "ما تلحن فيه العوام" للكسائي ت 189هـ، و"إصلاح المنطق" لابن السكيت ت 244هـ، و"أدب الكاتب" لابن قتيبة ت 277هـ، و"الفصيح" لأبي العباس ثعلب ت 291هـ، و"ليس في كلام العرب" لابن خلوويه ت 370هـ، و"لحن العوام" للزيدي ت 379هـ، و"إصلاح غلط المحدثين" للخطابي ت 379هـ، و"ثقيف اللسان وتلقيح الجنان" لابن مكي الصقلي ت 501هـ، إلى غير ذلك من الكتب التي حرصت على تصحيح الخطأ الذي يقع فيه الكتاب وغيرهم من المحدثين باللغة العربيّة معتبرين إياه شذوذا لغويّاً لا بدّ من تركه؛ ولأنّ اللغة "حقيقة اجتماعيّة"<sup>7</sup> وأنّ كلّ مجتمع له أعرافه وتقاليده، فكذلك للغة أعرافها وتقاليدها، وكما تحرص المجتمعات على عاداتها وما يميّزها عن غيرها كذلك اللغة تحرص على قواعدها التي تميّزها وطريقة التواصل التي بها لا تسمح لمن يريد الخروج عنها، وهي بذلك تشكّل في الناطقين بها قانوناً تواصلياً واجب التنفيذ، وكلّ واقع في الخطأ هو متمرد عن هذا القانون يجب تنبيه صاحبه للعودة إلى الأصل والانتماء. وهو ما أكّده علماء هذه اللغة الحريصون عليها وعلى قواعدها وسياقاتها وبخاصّة أنّها لغة القرآن الكريم الذي هو كلام الله الكامل.

لقد توارث العرب اللغة عن آباؤهم مشافهة فرفعوا ونصبوا وجروا وهي ما اصطلح على تسميتها فيما بعد بعلامات الإعراب التي رأوا أنّها تفرّق بين المعاني حيث قال الزجاجي "إنّ الأسماء ممّا كانت تعوّزها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافاً إليها، ولم تكن في صورها وأبنيها أدلّة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة - جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا: (ضرب زيد عمراً)، فدلوا برفع زيد على أنّ الفعل له، وبنصب عمرو على أنّ الفعل واقع به، وقالوا: (ضرب زيد)، فدلوا بتغيير أول الفعل ورفع زيد، على أنّ الفعل ما لم يُسمّ فاعله، وإنّ المفعول قد ناب منابه، وقالوا: (هذا غلام زيد)، فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه، وكذلك سائر المعاني، جعلوا هذه الحركات دلائل عليها؛ ليُدسّعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالّة على المعاني"<sup>8</sup> فلإعراب علاقة بالمعاني بل بدونه لا يكون المعنى واضحاً في الجملة ولذلك قال ابن جني: "... ألا ترى أنك إذا سمعت: (أكرم سعيداً أباه)، و(شكر سعيداً أبوه)، علمت - برفع أحدهما ونصب الآخر - الفاعل من المفعول؟ ولو كان الكلام شرحاً واحداً، لاستثيم أحدهما من صاحبه"<sup>9</sup> هذا هو كلام العرب الذي جاء به القرآن متابعاً لما عرف عندهم في كلامهم والذي نجده في الشعر الجاهلي - الذي هو ديوانهم - تناقلوه عن آباؤهم مشافهة يرفعون فاعل الفعل ومن يكون في الصدارة ومن يخبر عنه، وينصبون من يقع به الفعل وما إلى ذلك من قواعدهم التي بها يتواصلون.

لم يوافق (قطرب بن المستنير ت 206هـ) على أنّ حركات الإعراب تتغيّر تبعاً للمعنى إذ رأى أنّ الكلام لا يعرب "للدلالة على المعاني، والفرق بين بعضها وبعض، لأنّنا نجد في كلامهم أسماء متّفقة في الإعراب مختلفة المعاني، وأسماء مختلفة الإعراب متّفقة المعاني"<sup>10</sup> وبعد أن أعطى جملة من الأمثلة على ذلك قال: "فلو كان الإعراب إنّما دخل الكلام للفرق بين المعاني، لوجب أن يكون لكلّ معنى إعرابٌ يدلّ عليه لا يزول إلا بزواله"<sup>11</sup> والبديل الذي علّل به اختلافه عن جمهور اللغويين هو أنّ العرب

قد أعربت "كلامها لأنّ الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطنون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكهم التحريك، جعلوا التحريك مُعاقباً للإسكان، ليعتدل الكلام. ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة، لأنهم في اجتماع الساكنين يبطنون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب المهلة في كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان"<sup>12</sup> وعلل تعدد الحركات من ضمة وكسرة وفتحة وعدم الاكتفاء بواحدة منها فقط إنّما أراد العرب بذلك الاتساع فيها حتى لا يضيّقوا على أنفسهم. غير أنه لو صحّ كلام قطرب "لجاز خفض الفاعل مرّة، ورفعها أخرى ونصبه، وجاز نصب المضاف إليه، لأنّ القصد في هذا إنما هو الحركة تعاقب سكونا يعتدل به الكلام. وأي حركة أتى بها المتكلم أجزأته فهو مخير في ذلك. وفي هذا فساد للكلام، وخروج عن أوضاع العرب وحكمة نظام كلامهم"<sup>13</sup> فالقضية ليست مجرد تحريك يسرع به المتكلم أو إسكان يبطن، ولكن أوقفوا هذه الحركات على المعاني والتمييز بين الأسماء؛ فاعلمها ومفعولها ومجرورها.

العربية لغة العرب، نطقوها سليقة وتعلّموها في بيئتهم التي كانت المدرسة الحقيقية لهم، فكانت ألفاظهم "دالة على المعاني، يريدونها ويفهمونها بصيغها وحركاتها، دون أن يكون لهم صنعة في ذلك، أو مدرسة يتعلّمون فيها قواعد اللغة فلا يحددونها عنها"<sup>14</sup> لأنهم لزموا باديتهم فقلّ اللحن عندهم أو انعدم، حتى إذا انتشر الإسلام وتوسّعت الدولة الإسلاميّة شرقاً وغرباً واختلط العربيّ بالعجميّ بدأ اللحن يسري في اللسان العربيّ سريان النار في الهشيم، واضطرّ العلماء إلى البحث عن القاعدة ليسلم اللسان، ويُفهم النصّ فهما صحيحا. فكان أن أعجموا الحروف، ووضعوا الحركات، وأنشأوا النحو والصرف وبقية علوم اللغة، كلّ ذلك حفاظاً على القرآن والحديث الذين هما أساس الدين. وهو أهم الأسباب وإن كانت هناك أسباب أخرى ذكرها العلماء لا أريد الإفاضة فيها يمكن الرجوع إليها في كتاب الخصائص النحويّة لشوقي ضيف.

قد وقع اللحن أثناء قراءتهم للقرآن الكريم وبدأ ينتشر حتّى سأل (الحجاجُ بنُ يوسف ت 95 هـ) - وهو أحد الذين كانوا يحفظونه بل ويعلمه للطلبة - (يحيى بن يعمر\* ت 129 هـ) فيما إذا كان يلحن في القرآن، ولعلّ سؤال الحجاج ناجم عن استفحال اللحن في القرآن، فخاف أن يكون أحد الذي يلحنون فيه، فطلب (يحيى بن يعمر) أن يقرأ ما تيسر منه فقرأ من سورة التوبة حتّى إذا وصل إلى قوله تعالى: "قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"<sup>15</sup> فقرأ الحجاج (أحبّ) بالرفع والأصل فيها النصب على أنّها خبر كان. وإذا كان الحجاج - وهو من هو في الفصاحة والبيان - يلحن في القرآن فغيره من يسكن المدن لا شك أنّ لحنه فيه أكثر.

اتّفق العلماء أنّ الشواهد اللغوية لا تؤخذ من ساكني الحضر بعد القرن الثاني الهجري وأمدوها إلى القرن الرابع في البوادي. فدور الزمن له أهميّة في انتشار اللحن وكان الزمن ليس في صالح اللغة العربيّة إذ "كلّما تقدّمنا منحدرين مع الزمن اتّسع شيوعه على الألسنة، وخاصّة بعد تعرّب الشعوب المغلوبة التي تحتفظ ألسنتها بكثير من عاداتها اللغوية، ممّا فسح للتحريف في عربيّتهم التي كانوا ينطقون بها، كما فسح للحن وشيوعه. ونفس نازلة العرب في الأمصار الإسلاميّة أخذت سلائقهم تضعف لبعدهم عن ينابيع اللغة الفصيحة حتّى عند بلغائهم المفوّهين"<sup>16</sup> ذلك أنّ البيئة المختلطة من أجناس مختلفة تتهجّن فيها اللغة إذ كلّ واحد يحمل معه لغته فمع الزمن تتلاقح هذه اللغات فتدخل كلمات من اللغة الأمّ لصاحبها إلى العربيّة، ويكبر الجيل الجديد على لغة غير الذي كانت عند أهله فتضعف القواعد الأصليّة للغة ويشيع اللحن وتعوده الأذن

وتألفه. ومن كثرة سماعها له تعدّه صحيحاً. وهكذا استشرى البلاء أكثر واتّسع حتى وصل إلى البدو أنفسهم وهم الذين طالما تغنّوا بفصاحتهم. وقد ذكر الجاحظ ت 255 هـ أنّ أول لحن سمع بالبادية قول أحدهم (هذه عصاتي) والصواب (هذه عصاي) بل ذكر الجاحظ أشخاصاً بلغاء كانوا يلحنون. كما أنّ (ابن منظور) ألف لسانه بسبب ما رأى "من اختلاف الألسنة والألوان، حتّى لقد أصبح اللّحن في الكلام يعدّ لحناً مردوداً، وصار النطق بالعربيّة من المعايب معدوداً. وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوها في غير اللغة العربيّة، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهلها بغير لغته يفخرون، وصنعتهم كما صنع نوح الفلك وقومه منهُ يسخرون، وسميته لسان العرب<sup>17</sup> وهو ما يعني انحدار المجتمع العربيّ وبداية ضياع ملكه، وانهمزام لغته أمام لغة الأعاجم حتى صار الحديث بالفصحى عيباً، في الوقت الذي تفاخر الأعاجم بلغاتهم ودوّنوا بها علمهم وإبداعاتهم حتّى استهجن الناس تأليف معجم اللسان وبدا صاحبه محل سخريّة إذ لا فائدة في تأليف شيء ليس الناس في حاجة إليه، ولو استجاب لهم لضاع كثير من هذه اللغة، ولكن سبق تقدير الله بحفظ الذكر الذي هو حفظ للغته. وكان (ابن منظور) يصف حالة القرن الواحد والعشرين وضعف اللسان العربيّ فيه حيث امتزجت الألسنة واختلطت وهذا على حساب اللغة الأصليّة إذ من "خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصليّ أبعد لأنّ الملكة إنّما تحصل بالتعليم، وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب، ومن الملكة الثانية التي للعجم. فعلى مقدار ما يسمعونه من العجم ويرتّبون عليه يبعدون عن الملكة الأولى"<sup>18</sup> فكيف إذا حوربوا في ملكتهم/ لغتهم وفرضت عليهم الملكة/ اللغة الثانية فرضاً.

#### 4 - من أسباب ضعف اللسان العربي:

في العصر الحديث وقد تكالب الاستعمار الغربيّ على البلاد العربيّة التي كانت تابعة للحكم العثمانيّ بعد انتصارهم على المماليك، وقد حكم المماليك من (656هـ/1258م حتّى 923هـ/1516) وانتصر عليهم الأتراك في معركة (مرج دابق) وبدأ حكمهم من (923هـ/1516 حتّى 1213هـ/1798م) وهذا يعني أنّ مدّة ما يزيد عن خمسة قرون وأربعين سنة (540 سنة) كان الحكم فيها غير عربيّ أي لسانه أعجميّ؛ لسان المماليك ولسان الأتراك، ولذلك تناقل مؤرّخو الأدب العربيّ تسمية هذه الفترة بعصر الضعف. ولئن كان الأدب ولغته في هذه المرحلة ضعيفاً مقارنة بما قبله في العصور السابقة فإنّ الحركة العلميّة في فترة المماليك كانت نشيطة حيث وجدنا علماء برزوا منهم (ابن البيطار) في الطبّ، و(ابن خلدون) في التاريخ وعلم الاجتماع، و(ابن خلّكان) في السيرة، و(السيوطي) في التفسير، و(ابن منظور) في المعاجم... حتّى إذا جاء الأتراك وألغوا (ديوان الإنشاء) الذي كان يجمع الكتاب والعلماء وجعلوا اللغة التركيّة هي لغة الدواوين فقدت اللغة العربيّ مكانتها وضعف لسانها وانكمش الناطقون بها وخمدت نارها إلى أن جاء العصر الحديث فكش الاستعمار على ما بقي منها حيث طبّق الفرنسيّون ما عرف بالفرنسة. وفرض الإنجليز لغتهم على المناطق التي احتلوها.

#### 4 - 1 الفرنسية

إذا اعتمدنا مقياس الزمن في انتشار الخطأ في اللغة العربيّة، فهذا يعني أنّ زماننا هو أسوأ الأزمنة في انتشار الخطأ اللغويّ وأنّ ما يأتي بعد ذلك سيكون أشدّ سوءاً. ولذلك أسباب كثيرة؛ فهي بالإضافة إلى ما ذكره العلماء سابقاً يضاف إليها أسباب أخرى منها التكالب الاستعماريّ عليها لأنهم يرون أنّ التمسك باللغة العربيّة تربط العربيّ بقرآنه وكلّ تراثه الذي يجابه به أعداءه. ومن ثمّ كان أول عمل تقوم به هو محاولة القضاء على ما بقي من لغة القرآن كما فعلت في الجزائر من خلال تطبيق ما أسمته الفرنسية وهي "إحلال اللغة الفرنسيّة وثقافتها محلّ اللغة العربيّة وثقافتها في الجزائر، حتى ينسى الجزائريون - بمرور الزمن - لغتهم وثقافتهم القوميّة، ويستعصبون عنها باللغة والثقافة الفرنسيّة كما حدث في بعض البلدان... فنسيت

هذه الأخيرة لغتها وثقافتها، واستبدلتها بلغة وثقافة المستعمر ... مثل الهنود الحمر في أمريكا الشماليّة ومعظم شعوب أمريكا اللاتينيّة وبعض شعوب القارة الإفريقيّة<sup>19</sup> وقد فعلت الفرنسية فعلتها حتى وجدنا من يجهل الحروف العربيّة في الجزائر تماما، ولولا فضل الله علينا بكوكبة من العلماء تجمّعوا في جمعيّة العلماء المسلمين، وما قامت به البعض الزوايا والكتاتيب لكانت اللغة العربيّة في الجزائر أكثر سوءا ممّا هي عليه اليوم. فقد: " كان للاستعمار الفرنسيّ عند اللسان العربيّ تراتّ وطوائف، فهو لا يزال يجهد جهده في محوه واستئصاله من الألسنة، وقد ارتكب جميع الوسائل الموبقة لمحوه من الجزائر، أما مراكش وتونس فلولوا مكان القرويين في الأولى، والزيّونة في الثانيّة، لفعل بالعربيّة فيهما كلّ ما فاته فعله معها في الجزائر، وما فاته إلا القليل، وإنّ له لبرامج محضرة يدّخرها لوقت الحاجة"<sup>20</sup> وفي الوقت الذي يفعل كلّ هذا مع اللغة العربيّة ينشئ إذاعة باللهجة القبائليّة "كاملة الأدوات ببرنامجه، ومحاضريها، ومخبريها وموسيقيها وقراءها"<sup>21</sup> وهو عمل خبيث يهدف من ورائه تشتيت الشعب الجزائريّ من خلال لهجاته وقد أدرك علماء الجزائر ذلك فيبيّنوا أنّ هذا العمل "فرع من شجرة خبيثة غرسها الاستعمار بيده وتعمّدها بالعناية والتربيّة، واسمها الحقيقيّ (التفريق بين الأخوين العرب والبربر)"<sup>22</sup>. وهي سياسته المعهودة التي لا يمكن أن يعيش بدونها لأنّ وجوده مرهون بشقاق الآخرين وأنّه يدرك أنّ توحدهم نهاية له ولذلك يعمل جاهدا على "تقوية النظام العشائريّ فيه، وإبعاده بالتدرّج عن القضاء الإسلامي"<sup>23</sup>. مسخرا إعلامه بأنّ ما يقوم به إنّما هو لخدمة الشعب الجزائريّ الذي له "لغةً أخرى يتكلّمها كثير من الناس ولا يفهمون العلم والحياة إلاّ بها، بحيث اضطرّ - شفقةً عليهم ورحمةً بهم- أن يخصّص لهم إذاعةً، وينفق عليها الملايين احترامًا لهذه اللغة، ولأهلها"<sup>24</sup> وهي سياسة المكر والخداع التي لا يجهلها الشعب الجزائريّ لأنهم ألفوا هذا الضرب من التضليل الذي يهدف إلى إنشاء شرخ بين أفراد الوطن الواحد لأنّ في الاختلاف والتصارع حياة له تعطيه القيادة التي تجعلهم خاضعين..

#### 4 - 2 المستشرقون ومحاولة فرض العاميّة.

وهناك سبب آخر كان له دوره في محاربة اللغة العربيّة وتفشيّ اللحن فيها يكمن في تشجيع الاستدمار للغة الدارجة من خلال أقلام رجالته الذين (يظهرون النصّح) للشعوب العربيّة فينبرون لهم طريقتهم نحو التقدّم، ولكن في الحقيقة يريدون تشتيتهم والقضاء عليهم، فهم كمن يقدّم السمّ في العسل لقتل معارضتهم لأنّ في مزاحمة العربيّة الفصحى انتصار للعاميّة التي تبعد الناس مع الوقت عن القرآن.

#### 4 - 2 - 1 ولهلم سبيتا Wilhelm Spitta

في سنة 1880م ألف (ولهلم سبيتا)- وهو مستشرق ألماني عاش ما بين (1818 - 1883)- كتابه (قواعد اللغة العربيّة العاميّة في مصر) وهو أوّل كتاب حاول فيه صاحبه وضع قواعد للهجة المصريّة معلّيا من شأنها في الوقت الذي ينال من العربيّة الفصحى التي يرى أنّها لغة صعبة جدّا، وأنّ متكلّمها قليلون بل وضع أوّل اقتراح لاتّخاذ الحروف اللاتينيّة لكتابة العاميّة، ذلك أنّ اللغة العربيّة الفصيحة التي يكتبون بها والتي هي لغة القرآن "لا يكتب بها الآن في أيّ قطر، فأينما وجدت لغة عربيّة مكتوبة في اللغة العربيّة الوسطى؛ أي لغة الدواوين، وحتىّ ما يدعى بالوحدة بين الشعوب الإسلاميّة لا يمكن أن يقلقها تبني لغة الحديث العاميّة، إذ إنّ لغة الصلاة والطقوس الدينيّة الأخرى ستظلّ كما هي في كلّ مكان"<sup>25</sup> وإنّ بيّنت الدكتور عائشة بنت الشاطي أنّ (ولهلم سبيتا) لم ينطلق في حديثه عن صعوبة اللغة العربيّة من منطلق استعماريّ، ودليلها على ذلك أنّه كان في مصر قبل الاحتلال البريطانيّ لمصر، وقد دعت الدولة المصريّة ليكون مديرا لمكتبها الجديدة المسماة وقتها (الكتبخانة الخديوية)، ولكنّه كان متأثرا بفكرة أصل الأنواع ل (داروين) "ونظريّته الموسومة بـ (النشوء والارتقاء) حيث نقل تطبيق هذه

النظرية من الكائنات الحية إلى اللغات بصورة عامة واللغة العربية بصورة خاصة، إذ عدّ اللغة بأنها كائن حيّ ينشأ ويتطوّر ثم يموت، ويرى أنّ اللغة العربية الفصحى ممتة سريريًا، وستوارى الثرى عاجلاً أم أجلاً، بسبب استعمار الدولة العثمانية الغازية للوطن العربيّ، وسياسة التريك المتبعة لها<sup>26</sup>، ولعلّ (سبيتا) لم يقرأ قوله تعالى (إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون) ولا يكون الحفظ للذكر إلا بالحفاظ على لغته التي كتب بها. ونظريته هذه التي ينطلق منها هي مجرد كلام لا يمكنه أن يقف في وجه عقيدة المؤمنين وأنّ فكرة (الصراع من أجل البقاء) إنّما هي للغة العربية الفصيحة التي تصارع من أجل بقائها صارعة كلّ من يقف في طريقها لأنّها أقوى اللغات والتي اختارها الله لقرآنه. وهي - حسب نظرية داروين - هي الأصلح الذي يجب أن يبقى بفضل الله ثمّ المدافعين عنها من الأقاليم المؤمنة بها.

#### 4 - 2 - 2 كارل فولرس Karl Vollers

ثمّ جاء مواطنه المستشرق (كارل فولرس) 1857 - 1909 الذي تولى أيضاً بعد (ولهم سبيتا) إدارة دار الكتبخانة الخديوية التي صارت المصرية فيما بعد ، ومشى في طريق سابقه محاولاً تهديم اللغة الفصحى من خلال كتابه (اللهجة العربية الحديثة) ودعا إلى إبدال حروف هذه العربية الحديثة بالحروف اللاتينية طالباً من المصريين أن يكتبوا بها مندداً في الوقت ذاته بجمود الفصحى وهذا للقضاء على الفصحى التي احتوت القرآن والحديث وتراث هذه الأمة الضخم. غير أنّه لم يفعل ذلك من منطلق تأثره بنظرية (داروين) كسابقه، ولكن تطبيقاً للمخطّط الاستدماريّ الذي يعمل جاهداً على فصل الشعوب العربية عن أصلها وتاريخها وتراثها ثمّ دينها. وعبثاً حاول المستشرق الإنجليزي (سلدون ولمور seldom Willmore) - القاضي في المحاكم الأهلية بالقاهرة والذي ألف هو الآخر سنة 1901 كتابه الموسوم (العربية المحكية في مصر) - القضاء على اللغة العربية الفصحى بوضع قواعد للدراسة وكتابتها بالحروف اللاتينية بهدف فصل المسلمين عن لغة القرآن والسنة النبوية وباقي كنوز التراث - الذي هو مفخرة هذه الأمة والذي يشدّ قارنّه إليه - متخذاً أسلوب النصح الذي يخفي وراءه السمّ الذي يقضي على هذه اللغة من خلال ادّعائه أنّ معارضة العامية سيقتضي على العامية والفصحى معا، وستسود لغة أجنبية أخرى. فزراه يخوّف المعارضين له بأن يقبلوا بالعامية أو ستفرض عليهم لغة أجنبية أخرى، وتبعه في ذلك مواطنه القاضي (دلور) سنة 1902 فألف هو أيضاً كتابه (لغة القاهرة) وسار على خطى سابقه في خدمة المشروع الاستدماريّ الذي يهدف إلى تفكيك الأمة الإسلامية من خلال القضاء على لغة دينها وتراثها، من خلال تخدير عواطف المسلمين وذرّ الرماد في عيونهم، لأنّ الحقيقة المخفية وراء كلّ محاولاتهم هي القضاء على هذه اللغة بإبداها بالعامية التي تختلف من قطر إلى آخر بل تتنوّع داخل القطر الواحد من منطقة إلى أخرى، واضعين نصب أعينهم ما قاله اللورد دوفرين Lord Dufferin "إنّ أمل التقدّم ضعيف في مصر طالما أنّ العامة تتعلّم اللغة الفصيحة العربية - لغة القرآن - كما هي في الوقت الحاضر"<sup>27</sup>

#### 4 - 2 - 3 وليام ولكوكس William Willcocks

ثمّ جيء بـ (وليام ولكوكس) 1852 - 1932 المستشرق البريطاني الهندية المولد والنشأة والذي كتب يهاجم الفصحى ويدعو إلى العامية قائلاً: "يسهل علينا أن نرى الأثر المخدّر الذي تحدثه الألفاظ الرنّانة التي لا تفهم منها لفظة واحدة في نفس السامع، وسماع مثل هذه الألفاظ يقتل في الذهن كلّ ابتكار بين أولئك الذين لا يقرأون، كما تقتله أيضاً في نفس الطالب تلك الدروس التي تلقى عليه باللغة الفصحى المصطنعة، التي تبلغ الرأس دون القلب، فتمنع من يتسّمون العلماء في هذه البلاد من التفكير البكر"<sup>28</sup>، يبدو (ولكوكس) مشفقاً أشدّ الإشفاق على الناس العاديين الذين لا يفهمون الخطاب العربيّ ويريد من العارفين باللسان العربيّ ألا يخاطبوا الناس - كتابة - باللغة التي لا يفهمونها وإنّما يكتبون لهم بلغة يفهمونها؛ أي

بلغة دارجة. وما دام الكتاب لا يكتبون باللغة الفصيحة فليسوا في حاجة إلى أن يتعلموا هذه اللغة التي لا يحتاجونها في مخاطبة الناس، وليضربوا عنها لأنّها لغة لا نفع فيها ولا يرجى منها أي خير. ومع الأيام تنسى هذه اللغة ويضيع القرآن والحديث وما سجّل من تراث ضخم بهذه اللغة. فما حاجتهم إلى لغة ألفاظها غير مفهومة، تقتل الابتكار في الذهن، وتقتل الدروس في نفس الطالب، وهي - كما يراها - لغة مصطنعة، تتعامل مع العقل دون القلب. وهذا كما يقول المثل الجزائريّ (رأي الفار على صاحب الدار) إذ من أهدافهم القضاء على هذه اللغة التي وقفت حاجزا يمنع وصولهم إلى قلوب أهل البلد.

ثقل على (ولكوكس) - وقد عاش في مصر أربعين سنة - أن يترجم أهلها "ما يقرأونه باللغة الفصحى إلى اللغة المصريّة المألوفة، ثمّ هم عند الكتابة يترجمون ما فهموه بهذه اللغة إلى اللغة الفصحى"<sup>29</sup> وهذه العمليّة - كما يزعم - تسخير للذهن. فنراه (يشفق) على المصريّين الذين يتمسّكون بلغتهم الفصحى ويريدهم أن يتركوا هذا العبء الثقيل الذين طالما أتعيم ويتفرغوا إلى الدارجة فيقرأون بها ويكتبون وفي ذلك راحة لهم لأنّ "اللحم والدم لا يستطيعان كلّ هذه الجهود، ربّما كانا يستطيعانه لو كان لكلّ منّا رأسان، ولكن الواقع أنّ لكلّ منا رأسا واحدا، وهذا الرأس المسكين لا يجد له مجالاً في مصر"<sup>30</sup>. إنّ الصعوبة التي يجدها في اللغة الفصحى تجعله ينصح للمصريّين أن يتركوها لأنّ عندهم لغة الأمّ، لغة الشارع التي يفهمها الجميع وهم إذ يفعلون ذلك، إنّما يكونون مثل الغربيّين في أوروبا ووسطها، وأمريكا وبقية الدول التي يكتب أهلها باللغة التي يتحدثونها.

هكذا هم الغرب يقدّمون السمّ في العسل، ظاهر كلامه إشفاق وخوف على المصريّين، إذ يبدون حريصين عليهم، متعاطفين معهم، ناصحين لهم، فيظهرون معاناة الناس في حمل لغتين يرونها مختلفتين، الفصحى صعبة لا يفهمها الناس، والعاميّة سهلة في تناول الجميع. غير أنّ باطن كلامه السمّ العلقم الذي لا يبقي ولا يذر، ذلك أنّ ترك اللغة العربيّة والتمسّك بالعاميّة هو قتل لهذا التراث الذي كتب بهذه اللغة وهو تراث ضخم يربط العربيّ بجذوره التاريخيّة ويربطه بهذا القرآن الذي لا يمكن قراءته قراءة صحيحة أو فهمه ما لم يكن صاحبه على علم بهذه اللغة الرئائيّة.

إنّ محاربة اللغة الفصحى في الحقيقة هي محاربة للقرآن، ومحاربة للتراث الإسلامي الذي ينتهي إلى عقيدة الهلال،

وقد وجد الغرب أنّ العربيّ المسلم متمسّك بقرآنه وتراثه، ولا يمكنه أن يتخلّى عن ذلك إلا بخروج روحه، ولذلك لجأوا إلى حيلة اللغة العاميّة حتّى إذا جهلت الأجيال الجديدة اللغة العربيّة انقادت بسهولة إليهم. ولذلك خطّطوا بطريقة منهجيّة لنشر العاميّة حتى تنشأ أجيال لا تعرف إلا الدارجة أو لغة أجنبية أخرى.

غير أنّ عمل هؤلاء باء بالفشل ولم يحقق شيئا على الرغم من المكافآت الماليّة التشجيعيّة لمن يكتب الآداب والعلوم بالعاميّة وذلك بوقوف رجال صدقوا الله في مواجهة أعداء اللغة والقرآن ففندوا مزاعمهم بالحجج والبراهين الدامغة، وأخرسوهم حتى صاروا في خبر كان، وحدث أن أوقف (ولكوكس) مجلّته (الأزهر) - التي كان يدعو من خلالها إلى العاميّة - في عددها العاشر بعدما فشل في إقناع المصريّين برأيه في كتابة الأدب بالعاميّة، وإن كانوا قد نجحوا في المسرح من خلال فرقة (رمسيس)، وكذلك في السينما التي أظهرت رواية (زينب) من خلال حوار باللهجة العاميّة والتي كانت الخطوة الأولى في اعتماد السينما المصريّة اللهجة العاميّة تحت تأثير المستشرقين والمستغربين بعدهم.

5 - أتباع المستشرقين يشبهون سيوفهم للفتك بالفصحى.

غير أنّ المهزّمين المنهزمين في المستشرقين من المستغربين حملوا أفكار المستشرقين والمستدمرين ودعوا بدعوتهم فكانوا أسوأ من أساتذتهم، وهؤلاء - في الغالب - نصارى حاملو لواء الصليب، قد اتخذوا موقفا من الدين الإسلامي، ينظرون إليه

نظرة عدائية، وحتى ينزعه من قلوب أتباعه دعوا إلى إحياء النعرات القبليّة والقوميّات، القديمة منها والجديدة.

## 5-1 في لبنان:

من هؤلاء (اسكندر المعلوف) وابنه (عيسى)؛ أمّا الأوّل فقد نشرت له مجلّة (الهلال) سنة 1902 مقالا بعنوان اللغة الفصحى واللغة العاميّة في عددها الخامس عشر، في باب المراسلات مقالا يرد فيه على استهجان المجلة لرأيه الذي يدعو إلى العاميّة وأي عاميّة يريد أهي الشامية أم المصرية أم الخليجية أم المغربية ... غير أنّ رأيه لم يخرج فيه عن دعوى (ولكوكس) ومن جاء بعده من المستشرقين يدافع فيه عن اللهجات العاميّة مبينا أنّ اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة أحد أسباب تخلف العربيّ وهو الرأي نفسه الذي ذكره المستشرقون قبله وهم - كلّهم - تابعون إلى وزارة الخارجية والمستعمرات في بلادهم، كما ذكر أنّ تعلق العرب بالفصحى لا مبرّر له إذ هناك مسلمون ولا يتحدثون العربيّة ولا يكتبون بها، ويرى في إهمال الحكومة المصريّة والإفrench للغة العربيّة في المدارس أملا في إحياء مسعاه لأنّ إهمالهم لها معناه "أنّهم ملّوا اللغة العربيّة لصعوبتها وسئموها لبعدها عنها... ومتى سلكت المدارس والجرائد هذا المسلك، تأخذ هذه اللغة في مراقي النجاح والتقدّم حتى تعدّ من اللغات المتمدّنة وتتلاشى العربيّة الفصحى التي ليست سوى رابط متين يربطنا بحالة الجهل القديمة"<sup>31</sup> ونراه يطلب من أهل العربيّة أن "ينشطوا من عقابهم طالبين التحرّر من رقّ لغة صعبة المراس قد استنزفت أوقاتهم وقوى عقولهم الثمينة وهي مع ذلك لا توليهم نفعاً بل قد أصبحت ثقلاً عليهم يؤخّره عن الجري في مضمار التمدّن وحاجزا يصدّهم عن النجاح"<sup>32</sup> وهو الرأي نفسه الذي صرّح به المستشرقون من قبل يعيده كما هو ليختم قوله أملا أن يتحقّق مشروعه "... ولي أمل بأن أرى الجرائد العربيّة وقد غيرت لغتها وبالأخصّ جريدة (الهلال) الغراء التي هي في مقدّماتها. وهذا أعدّه أعظم خطوة نحو النجاح، وهو غاية أمني ومنتهى رجائي"<sup>33</sup> ليت صاحب هذا الكلام كتب كلامه هذا بالعاميّة ليعرف هل يقرأه القراء ويفهمونه، غير أنّ المقال إنما يظهر عداؤه للغة القرآن ليس إلا، وما تخفي صدورهم أشدّ. وقد علّلت الهلال على هذا النصّ قائلة: "... وإنما نشرنا هذه الرسالة لأنّها رأي كاتب شرقيّ يخالف آراء سائر الشرقيّين في هذا الموضوع"<sup>34</sup> وإذا علمنا أنّ رئيس تحرير مجلّة الهلال على مكانتها العاليّة ونفاستها هو جورج زيدان، وهو - وإن كان قائمة علميّة يشار إليها بالبنان- نصرانيّ لم يغرّد بعيدا عن السرب النصراني، فقد ألّف عن التمدّن الإسلاميّ فقام بـ "تحريف الكلم وتمويه الباطل، وقلب الحكاية، والخيانة في النقل، وتعمد الكذب ما يفوق الحد، ويتجاوز النهاية"<sup>35</sup> فقد أخذ عليه أنّه "يتعمّد التحامل على العرب وعلى الإسلام نفسه ... وأنه يكاد يكون من الشعوبية الذين يتحاملون على العرب ويفضلون العجم عليهم"<sup>36</sup> ولذلك نشره للمقالة في المنار يصبّ في هذا المنحى الذي يسعون إليه لا يكاد يخفى على باحث يسعى إلى الحقيقة.

أمّا الثاني فهو الابن عيسى إسكندر المعلوف وقد كان أحد أعضاء مجمع اللغة العربيّة، وقد نشر على صفحات مجلّة مجمع اللغة العربية المصري ثلاث مقالات بعنوان (اللهجة العربيّة العاميّة) في الأعداد (الأول والثالث والرابع) حيث مهّد في الأولى إلى ضرورة التغيير، وأنّ التغيير سنّة كونيّة حيث قال: "لا خفاء أن الطوائر الطبيعيّة تغيّر هيئة الأرض؛ تجرف التراب إلى البحار ... وهكذا النيران في باطن الأرض تحوّل السهول جبالا.. وهكذا الحال في اللغات، فإنّ عوامل الألسن والأقلام، والتغلّب والضعف تلعب بها لعب مجاري الهواء بالريشة، ومخالطة الأعاجم تفعل فيها أفعالا عجيبة، بين حذف وزيادة، وقلب وإبدال، ونحت، وتصحيف، وتحريف، وتغيير، وتبديل، وما شاكل، فتحل محلّها الرطانة الأعجميّة، والطمطمانيّة العاميّة، حتّى تكاد تذهب الأصل أحيانا"<sup>37</sup> ثمّ تعرّض إلى موقف الناس من العاميّة والكتب التي تحدّثت عنها، بما فيها كتب المستشرقين والعرب- قدامى ومحدثين-، جاعلا مقاله الثالث عن العاميّة في سوريا ولبنان. وهو كلام علميّ، ظاهره التأريخ

لظاهرة لغوية أجهد الكاتب نفسه في وضع بيبولوجرافية للكتب التي تحدّثت عن العامية مسهباً في كل من كتب عنها، ليشير إلى أنّ الكتابة في ذلك أمر قديم، والحقيقة أنّ ذلك يدخل في المشروع الاستشراقيّ الذي يريد ضرب اللغة العربية والتراث الذي دوّن بها. ذلك أنّ القدامى كتبوا في اللحن لإعادة الناس إلى الصواب، بينما المستشرقون والذين اقتفوا أثرهم خطّطوا لضرب اللغة العربية بتشجيع العامية بجعلها لغة الكتابة والعلم وهجر الفصحى وتركها زاعمين أنها غير قادرة على مواكبة التطوّر. وجعلها كاللاتينية التي خرجت منها لغات أوروبا.

لا شكّ أنّ تخصيص ثلاث مقالات عن العامية هي رسالة غير مباشرة أراد بها بيان مكانة وقدرة العامية على مزاحمة الفصحى؛ ذلك أنّ كثرة الكتب التي ذكرها إشارة منه إلى شيوع العامية في المجتمعات العربية، غير أنّ شيوع العامية وأنها لغة البيت والشارع لا يجعل منها لغة الكتابة، لأنّ المجتمع العربي يملك لغة الكتابة التي تكلم بها الله جلّ وعلا في كتابه الأخير - القرآن الكريم، وأحبّها العربيّ وعدّها من المقدّسات التي لا يمكن أن يستغني عنها، فكتب بها علومه وآدابه. وما كان لعضو مجمع اللغة العربية أن يدعو إلى اللهجات العامية، من خلال تعداد هذه الكتب، بل وقد ذكر في أنّه ألف كتاباً مطوّلاً سمّاه (معجم اصطلاحات العامّة) من دينية وتاريخية وأدبية وعلمية وفتية واجتماعية وعمرانية وما يندمج في سلكها، وقد رتبّه على حروف المعجم بل ونشر أمثلة منه في المجلات<sup>38</sup>. وهم ما يدلّ على أنّه كان يدعو إلى العامية من خلال المجمع اللغوي. وقد وجد المجمع أصلاً ليقوم بتنظيم جهود حماة العربية والدفاع عنها. وليس منبرا لهدمها من خلال وجود من يؤمن بغيرها من مستشرقين وأتباعهم؛ ولله درّ شيخ الجزائر البشير الابراهيمي محتجّاً على وجود المستشرقين في المجمع اللغوي العربي بالقاهرة حيث قال: "... على أن بعض أولئك المستشرقين الذين كانوا أعضاء بهذا المجمع كانوا مستشارين في وزارات الخارجية من بلدانهم، وهذا قاذح آخر يضاف إلى قاذح قصورهم في اللغة العربية"<sup>39</sup> ممّا يدلّ على تحكّم المؤسسة الاستخباراتية في المجلس.

من الذين وقفوا موقفاً مهاجماً للغة العربية في لبنان (مارون غصن) صاحب كتاب (حياة اللغات وموتها - اللغة العامية) الذي يظهر فيه خصماً للفصحى والذي يتنبأ بسقوطها إذ يرى أنّ كلّ لغات العالم سائرة إلى الفناء، ودليله على ذلك سقوط اللغتين اليونانية واللاتينية، كما أنّ اللغة العربية عنده من أصعب اللغات على وجه الأرض، أضف إلى ذلك أنّ الشعب متعلّق بلغة آبائه وأجداده والتي هي اللغة العامية. وقد أصدر كتاباً سنة 1930 أعطى له اسماً باللهجة العامية. ولأنّ الأمور لا تتوقّف فقد أضاف (أنيس فريحة) إلى اللهجة العامية فكرة أخرى وهي إحلال الحروف اللاتينية محلّ الحروف العربية. وقد طبع كتاباً سنة 1952 عنوانه: (تبسيط قواعد اللغة العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد) تمتّى فيه لو أنّ سياسياً عسكرياً يفرض بالقوة اللغة العامية على العرب. وفي 1955 نشر مقالا في مجلة الأبحاث سمّاه (هذا الصرف وهذا النحو! أما لهذا الليل من آخر)، ليبيّن مدى المعاناة التي يعانيها والضيق الذي يحاصره من وجود الفصحى في المجتمع العربيّ. حتّى إذا وصلنا إلى (سعيد عقل) فنجدّه في مدرسة (أنيس فريحة) يطبع كتابه المعنون (ياره - شعر) بالحرف اللاتيني.

ومن اللبنانيين النصارى الذين وقفوا موقفاً عدائياً من اللغة العربية الشاعر القس (يوسف الخال) الذي رأى أنّ التراث "يعيش في عقول الناس، ومن ثمّ يجب تحريرها منه، بالثورة عليه لنزعه من قلوب وعقول أصحابه، والبدائية تكون بقراءة تراث آخر، غير العربيّ وفهمه ليحلّ محلّ العربيّ، وإزاحة اللغة العربية التي يجب أن تنجلي لتحلّ محلّها ما كان يسميه (اللغة المحكيّة)<sup>40</sup> ناقلاً رأي جاك بيرك Jacques Berque في تقسيم العالم العربيّ إلى مناطق أربعة هي "الهلال السوريّ الخصيب، ولغة الجزيرة العربية، ولغة مصر والسودان، ولغة الشمال الإفريقي"<sup>41</sup> وفي الوقت الذي يطلب فيه (الخال) من الشعراء

المبدعين الأخذ من الشعوب الأخرى لإثراء تجربتهم الإبداعية والنهوض بالحركة الشعرية الجديدة يرفض لهم أن يأخذوا من التراث العربي لأنه تراث ميّت يجب دفنه. وهي نظرة أقل ما يقال فيها إنها غير موضوعية متعصبة لغير العرب فقط لأنه تراث إسلامي.

5-2 في مصر.

لم يكن نصارى لبنان وحدهم من يدعون إلى العامية والخط اللاتيني ففي أرض الكنانة أيضا وجدنا من يفعل ذلك ابتداء بـ (عبد العزيز فهمي) الذي كان - هو الآخر - عضوا في المجمع اللغوي بالقاهرة ودعا سنة 1943 إلى إصلاح اللغة العربية "باقتراح كتابة العربية بالحروف اللاتينية، وشغل المجمع ببحث اقتراحه عدة جلسات امتدت ثلاث سنوات ونشر هذا الاقتراح في الصحف وخصّصت الحكومة مبلغا من المال ليس بالقليل لمن يقترح أحسن تيسير للكتابة العربية. وواصل بعده آخرون حاولوا - عبثا - أن يقنعوا المجتمع العربي بصعوبة الخط العربي حتى اقترح أحدهم إبدال الحركات بالحروف مثلما نجد في اللغات الغربية فكلمة (مُحَمَّدٌ) مثلا تكتب هكذا (موحامادون).

كان لـ (سلامة موسى) وتلميذه (لويس عوض) دور كبير في الدعوة إلى العامية إذ أيد الأول موقف (لكوكس) و(قاسم أمين) و(لطفى السيد) بل ذهب إلى أن اللغة العربية الفصيحة "تبعثر وطنيتنا المصرية وتجعلها شائعة في القومية العربية؛ فالمتعمق في الفصحى يشرب روح العرب، ويعجب بأبطال بغداد بدلا من أن يشرب الروح المصرية"<sup>42</sup> واضحة هي الروح الانفصالية المسيطرة عليه، فهو لا يريد أن يكون عربيا ضمن هذه الأرض التي تجمع هذه الرقعة الكبيرة على لسان واحد، يريد أن يكون نصرانياً قبطياً بانتماؤه الصليبي على أن يكون عربياً ينتهي إلى الشرق. لا يشعر بانتماؤه إلى العرب الذين هم في رأيه غزاة، فهو مصريّ فرعونى قبطي ولا يريد للمصريين أن يكونوا عربا بل يريدهم مصريين فقط وهو شعار رفعه (لطفى السيد) الذي يسميه أمثالهم (أستاذ الجيل).

إنما مصر للمصريين كما يريد (لطفى السيد) وهو المشروع الذي يعمل لأجله الاستعمار الغربي، حيث يريد أن يفرّق العرب إلى دويلات متصارعة حتى يسهلوا عليه، فينفذ سياسته التي تجعلهم تابعين أذلاء لا يملكون قرارهم ولا سيادتهم. ولقد أكد على أن اللغة الفصحى في أرض الكنانة لغة أجنبية لأنه ما يزال يرى أن مصر ليست عربية فيقول: "إننا ننظر إلى لغة النابغة والمنتبي كما ننظر إلى اللغة الروسية أو الإيطالية، لأنها ليست لغتنا ولنسنا نستفيد بدرسها"<sup>43</sup> وهو عندما يتحدث عن الأزهر الذي هو رمز الثقافة الإسلامية ومعهد الحفاظ على تراثها يقول عنه "لا أتردد في القول بإلغائه والاكتفاء بالجامعة المصرية، لأنها أداة القافة الحديثة النيرة أما هو فأداة الثقافة المظلمة، ثقافة القرون الوسطى"<sup>44</sup> وهو ما يظهر العداء لكل ما هو إسلامي داعيا - عبثا - إلى فصل المصريين عن إخوانهم العرب.

أما (لويس عوض) فهو أحد التابعين لهذا التيار، درس في الخارج وعاهد نفسه إذا عاد إلى مصر "ألا يخط كلمة واحدة إلا باللغة المصرية"<sup>45</sup> غير أنه لم يستطع أن يوفي بعهده؛ فما زاد على أن كتب (مذكرات طالب بعثة) بالعامية ثم توقّف. لأن لا أحد يقرأ له بالعامية حتى الذين يساندونه في الفكرة.

يرى (لويس عوض) أنه لا يوجد شاعر مصري على مستوى عال - من الفتح الإسلامي إلى البارودي - باللغة العربية لأن "المصريين لم يمثّلوا اللغة العربية القرشية كما يمثّل الكائن العضوي غذاءه، بل اصطنعوا لأنفسهم لغة خاصة بهم أصولها قرشية ولكنها تختلف عن العربية القحّة في ألف بائها ونحوها وصرفها وصيغ ألفاظها وعروضها"<sup>46</sup> يثبت هذا النص أيضا فكرة التميّز عن المجتمع العربي وينتصر إلى فصل مصر عن العروبة والإسلام، وهي فكرة أشاعها الاستعمار من خلال فكرة

فرّق تسد. ف (لويس عوض) لا يريد أن تكون مصر عربيّة ولكن يريد أن تكون غربيّة ويقول في ذلك: "... إنّ مصر يجب أن تنفرد حضاريًا، ولذلك فعلها ألا تتجه شرقًا إلى دمشق أو بغداد، ولكن إلى الشمال والغرب حيث أوروبا"<sup>47</sup> ودمشق عاصمة الأمويّين، وبغداد عاصمة العباسيّين يعني لا انتماء إلى العروبة أو الحضارة الإسلاميّة، ولكن إلى أوروبا. وقد احتوى ديوانه (بلو تولاند) مجموعة من المقطوعات العاميّة منها سونيت 2، وسونيت 3. غير أنّ أمثال هؤلاء رصدتهم الأقلام المصريّة النيرة ففضحت خباياهم وكشفت عن نواياهم؛ فقد قيّض الله له غيورا على العربيّة هو (محمد محمود شاكر) فأخرسه بجملة من المقالات في كتابه (أباطيل وأسما) فما عدنا نسمع له صوتا، وتفترغ الرافي لهم فكشف حقيقتهم فإذا هم "اتخذوا من عداوة هذه اللغة طريقة انتحلوها ومذهبا انتسبوا إليه، وفهم العالم بعلوم أوروبا، والأديب بأدب أوروبا؛ وذلك من عداوتهم للدين الإسلامي، إذ جعل هذه اللغة حكومة باقية في بلادهم مع كل حكومة وفوق كل حكومة؛ وهم يزدرون هذا الدين ويسقطون عن أنفسهم كلّ واجباته. وهؤلاء قد خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، إذ يغفلون في مصريّتهم غلوا قبيحا ينتهي بهم إلى سفه الآراء، وخفة الأحلام، وطيش النزعات، فيما يتّصل بالدين الإسلامي وأدابه ولغته. وما أرى الواحد منهم إلا قد غطى وصفه من حيث هو رقيق، على وصفه من حيث هو عالم أو أديب أو ما شاء"<sup>48</sup> فالصراع إذاً بين ثقافتين؛ ثقافة غربيّة انهر فيها المستغربون من أبناء الدول العربيّة لا ترى المستقبل إلا في أتباع خطى الغرب، وثقافة متكنة على التراث ترى المستقبل في التمسك بثقافتنا الأصيلة.

إنّ الداعين إلى العاميّة في أغلبهم ممن ديانتهم نصرانيّة أو تأثروا بالفكر العلمانيّ كما رأينا في لبنان ومصر وهناك غيرهم في أقطار عربيّة أخرى ما كانوا نصارى ولكن بدا لهم أن فصل لغة الكتابة عن لغة الحكى من الأسباب التي أدت إلى ضعف المسلمين ومن هؤلاء الشاعر العراقي (جميل صدقي الزهاوي) القائل: "فتشّطُ طويلاً عن انحطاط المسلمين فلم أجد غير سببين أولهما: الحجاب الذي عدّدتُ في مقالي الأول مضاره، والثاني: هو كون المسلمين. ولا سيّما العرب منهم. يكتبون بلغة غير التي يحكونها"<sup>49</sup> غير أنّ هذا الرأي لا يعني أنه يطلب من الكتاب أن يكتبوا بالعاميّة ولكن لعلّه دعوة إلى الحديث بالفصحى، فهو يستهجن تفشّي العاميّة بحيث الباحث إذا كتب تفصّح وإذا تحدّث مع الآخرين تدرّج.

قضية الدعوة إلى العاميّة ما تزال حتى وقتنا الراهن؛ فقد ترك هؤلاء الذين هاجموا الفصحى تلاميذ واصلوا هجومهم عليها وما زال يتصدّروهم النصارى في مختلف البلاد العربيّة مع العلمانيين والشيوعيّين وقد منحت (جائزة ساويرس الثقافية) سنة 2018 رواية (المولودة) لصاحبها (نادية كامل) المرتبة الأولى مناصفة مع رواية (مسك التل) لصاحبها (سحر الموجي) فرع الرواية، فئة الكتاب الكبار. وللعلم أنّ رواية (المولودة) نصّ روائي بالعاميّة المصريّة تشجيعا للنصّ الروائيّ العاميّ، وكأنّ المقيمين على الجائزة إنّما يساوون بين من يكتب بالعاميّة أو العربيّة، وهي رسالة واضحة للرفع من مكانة العاميّة، وإذا علمنا أن (ساويرس) هو أيضا من النصارى الذين يقفون موقفا من اللغة الفصحى اتضحت الأمور وتأكّدت أنّ الأمر - كما يقول المثل العربي - قد دبرّ بليل، ولا شك أنّ منح رواية لغتها عاميّة تتحدّث عن امرأة مسيحيّة إيطالية منتسبة إلى الحركة الشيوعيّة، تزوّجت بيهوديّ مصريّ، رسالة واضحة المعالم تؤكّد أنّ مقاييس الجودة والجمال قد تغيّرت، وأنّ النصّ الروائيّ العربيّ النموذج الذي عرفه القراء وظهر على أيدي كبار الكتاب يوشك أن ينتهي دوره الآن إذا لم يقرع ناقوس الخطر، لأنّ إشراك الجائزة مع من يكتب بالعاميّة رسالة تدعو من خلالها الكتاب إلى الكتابة بالعاميّة لتزاحم النصّ الروائيّ العربيّ الذي أوصله نجيب محفوظ إلى العالميّة من خلال لغة عربيّة دقيقة وجديدة كانت نموذجا للكتابة الروائيّة العربيّة الذي اقتدى به روائيو العالم العربيّ قد أصبح في خبر كان، وإنّ منح (جائزة ساويرس الثقافية) رواية (المولودة) هذه المكانة إنّما هو سير في

الطريق الذي بدأه المستشرقون في إحلال اللهجات العامية المكانة التي طالما حاربها المدافعون عن صاحبة الجلالة لغة الضاد.

## 6 - الدفاع عن الفصحى/ صاحبة الجلالة

يجب أن نشير إلى أنّ المستشرقين وأتباعهم من المستغربين وجدوا ولا يزالون يجدون مقاومة شديدة من المؤمنين بلغة الضاد الذين بدفاعهم عنها إنّما يدافعون عن دينها وتراثها ووجودها، وأن هؤلاء الساخطين على لغة القرآن ما كانوا لينكمشوا لو لم يجدوا كوكبة من الصادقين سخّروا أقلامهم للدفاع عن (صاحبة الجلالة) وأثبتوا شعرا ونثرا مكانتها وقيمتها فساجلوا خصومهم وأقاموا عليهم الحجّة وأثبتوا سوء نيّتهم وانقيادهم لأعداء الأمة. فهذا شاعر النيل

يقول على لسانها<sup>50</sup>: وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا ضُفِّتْ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ

فكيف أضيّقُ اليومَ عن وَصْفِ آلَةٍ وَتَنْدَسِيقِ أَسْمَاءٍ مُخْتَرَعَاتٍ

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي.

إنّ اللغة التي احتوت هذا القرآن العظيم لقادرة على أن تحتوي الكون كلّه، وأنّ اتهامها بالضعف والعقم اتهام باطل، الغرض منه النيل منها ومن أهلها ومن الدين الذي وظّفها لانتشاره، وما الذين فعلوا ذلك إلا "نابته من الزنادقة الملحدين في آيات الله، الصادّين عن دين الله، قد سلّكوا في الدعوة إلى الكفر والإلحاد شعابا جدّداً، وللتشكيك في الدين طرائق قدّداً"<sup>51</sup> هكذا وصف الأستاذ (رشيد رضا) الذين يحاربون اللسان العربيّ في أرض الكنانة. وقد بيّن أنّ "غرضهم دينُ الله، وهدفهم منها الطعنُ في اللغة العربية وآدابها، والتماري في بلاغتها وفصاحتها"<sup>52</sup> ليصبح عملهم معروفاً ومكشوفاً مهما حاولوا إخفاءه والاختباء تحت قضايا فكرية من خلال قذف رواة اللغة العربية الفصيحة واتّهامهم "بخلق الإفك وشهادة الزور"<sup>53</sup>، ثمّ مطالبة الغيورين على هذه اللغة والناطقين بلسانها المبين، أن يهجروا "أساليب الأوّلين، وأتباع أساليب المعاصرين"<sup>54</sup> ليتمرّغوا في وحلّ الأساليب الغربية وسياقات اللهجات العامية التي تسيء ولا تفيد وتضرّ ولا تنفع كالداعين "إلى استبدال اللغة العامية المصرية بلغة القرآن الخاصية المضرية، والغرض من هذا وذاك صدّد المسلمين عن هداية الإسلام وعن الإيمان بإعجاز القرآن"<sup>55</sup> ذلك أنّ هدفهم ليس اللغة العربية في ذاتها ولكن لأنّها لغة الإسلام الذي حاربه المستشرقون والمستعمرون ويحاربونه هم أيضاً سيرا في الطريق الذي رسم لهم فلا يجيدون عنه قيد أنملة. ذلك أنّ قضاءهم على اللغة إنّما هو قضاء على الدين لأنّهم يدركون أنّ "من أوتي حظاً من بيان هذه اللغة، وفاز بسهم رابع من آدابها حتى استحكمت له ملكة الذوق فيها، لا يملك أن يدفع عن نفسه عقيدة إعجاز القرآن ببلاغته وفصاحته، وبأسلوبه في نظم عبارته"<sup>56</sup> ومن ثمّ سيكونون عاجزين أمامه، لا يقدرّون عليه وسيظلّ متمسّكا مدافعا عنها وفي ذلك تخريب لخطّهم بل قضاء على توسّعاتهم.

بيّن الرافي أنّ لا لغة إلا لغة القرآن وأن لا أدب إلا الذي يأتي به القرآن لأنّ "القرآن بأسلوبه ومعانيه وأغراضه لا يُستخرج منه للأدب إلا تعريفٌ واحد هو هذا: إن الأدب هو السمو بضمير الأمة. ولا يُستخرج منه للأدب إلا تعريفٌ واحد هو هذا: إن الأدب هو من كان لأمتّه وللغتها في مواهب قلمه لقب من ألقاب التاريخ"<sup>57</sup> الأديب من عاش لأمتّه وعاش للغتها وما لغتها إلا هذه اللغة التي جاء بها كلام الله وهي حقيقة أعترف بها النزهاء والموضوعيون وإن كانوا على دين النصارى كما في هذا النص الذي يتحدّث عن الكتب القديمة التي تناولت فنيّ المعاني والبديع، فالكتب "على جلاله قدرها ونفاسة ما حوّته إنّما وضعها أولئك الفضلاء ليستعين بها غيرهم من العلماء على فهم ما في القرآن من مواقع الفصاحة والبلاغة التي بلغت حدّ الإعجاز"<sup>58</sup> هذا هو الأصل، فما كانت دروس البلاغة إلا لفهم النصّ القرآني الذي جاء على أساليب العرب، فمن أتقنها أخذ حظاً كبيراً منه ومن جهلها لا يمكنه أن يفهم شيئاً منه.

لقد أدرك هؤلاء أن لغة القرآن لا تساويها لغة في دقتها ودلالاتها على المعنى، وها هو الرافي بيّن قيمة التوليد في اللغة العربيّة فيجد فيه " الكلمة التي لا يخرج عنها شيء من أسرار النبوغ، ولا تجد ما يسدّ في ذلك مسدّها أو يحيط إحاطتها، ولا نظنّ في لغة من اللغات ما يشبهها في هذه الدلالة واستيعابها كلّ أسرار المعنى؛ إذ هو بلفظها نصّ على حياة الكون في الذهن الإنسانيّ، وأتّه يتّخذ وسيلة لإبداع معانيه، كما يتّخذ سرّ الحياة بطن الأمّ وسيلة لإبداع موجوداته؛ وأنّ المعاني تتلاقح فيلّد بعضها بعضًا في أسلوب من الحياة"<sup>59</sup> فهذه الدقة في اختيار المعاني لا يمكن أن تكون إلا في لغة القرآن ولذا اتّفق الباحثون على أنّ اللفظ القرآنيّ لا ينوب عنه لفظ آخر، ولا نستعمل الكلمات القريبة إليه إلا من أجل تفسير المعنى للأخرين وتوضيحه فقط.

إنّ الذين تشبّعوا بجمال اللغة القرآنية عرفوا قيمة اللغة التي كتب بها القرآن فأحبّوها لا لأنّها عربيّة ولكن لأن القرآن كتب بها ذلك أنّ "اللغة العربيّة ليست لغة العرب حتى توضع في موازين الترجيح، وتتعاورها العصببيّات بين جنس وجنس، أو تعلق إليها الأنظار الشعبيّة، ولكّتها لغة القرآن، وخيرُة الله لكتابه، وإذا كان للعرب عدوّ أو منافس ينازعهم المفاخر، أو يجاذبهم المحامد، أو يغضّ منهم، أو ينكر عليهم، فليس للقرآن عدوّ بين المسلمين، وعدوّ القرآن ليس من أمة القرآن، ففي هذه المنزلة أنزلوا هذه اللغة، وعلى هذه الأصل فخذوها"<sup>60</sup> فالعربيّ الذي يتكلّمها لا يفتخر بها لأنّها لغة أجداده ولكن لأنّها لغة هذا الدين الذي من خلالها يتقرّب إلى الله، فيقرأ بها القرآن في الصلاة، ويقرأ بها القرآن حتّى لا يهجره، ويقرأ بها القرآن حتى يستخرج الأحكام الشرعية... ولا ينكرها إلا عدوّ لله وللمسلمين، فهي قبل أن تكون لغة للعرب القادمين من الصحراء فهي لغة هذا الدين الذي ارتضاه الله للبشريّة جمعاء. ولأنّ العربيّة لغة هذا الدين قبلها المسلمون في أنحاء العالم ورضوا لأنفسهم الإسلام طوعًا بلا إكراه، ورضوا للسانهم العربيّة عفوًا بلا استكراه، وهم إذ يتنازلون عن موضع لغاتهم الأصليّة للغة الدين الجديد فلاّتها لسان العلم وآلة المصلحة، لأنّ كلّ العلوم التي نتجت بعد ذلك، والكتب التي ألّفت كان بلسانها، تربط الإنسان برّبّه وتعلّمه دينه<sup>61</sup>.

نصل إلى أنّ اللغة العربيّة هي عنصر الحياة في الأمة، تمدّها بالقدرة على الاستمرار؛ وتستمدّ هذه الميزة من كونها لغة القرآن وهو ما جعلها تحتلّ الصدارة في المجتمعات الإسلاميّة، ولأنّها هكذا كان لها دورها في توحيد الأمة ونبذ كلّ عصبية مهلكة أو قومية مفرّقة ليكون البديل لهما هو العقيدة الإسلاميّة التي تجمع ولا تفرّق. ولعلّ هذا الدور الذي تؤدّيه اللغة هو الذي جعل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول: "تعلّموا العربيّة فإنّها من دينكم"<sup>62</sup>. ذلك أنّ اللغة -بالإضافة إلى أنّها أداة تواصل ليتفاهم الناس فيما بينهم - هي "سياج للأمة وصلة بين ماضيها وحاضرها، وطريق إلى مستقبلها ومجلى لرسالتها وعنوان لثقافتها"<sup>63</sup> وهو ما فهمته الأمم الأخرى كإسرائيل مثلا التي عملت على إحياء لغتها العبريّة وجعلتها لغة علم وأدب بل فرضت على كلّ يهوديّ مهاجر إليها أن يتخلّى عن اسمه في البلد الذي كان فيه ويتّخذ اسما عبريًّا أو على الأقلّ يُعَبّر عن اسمه. احترامًا للغتهم ودفاعًا عنها.

## 7 - العنف اللساني

هذه الأهميّة الكبرى للغة قد لا تظهر للكثير من طلبتنا في مؤسّساتنا التربويّة أو الجامعيّة وهنا يكون ما يسمّى بـ (العنف اللساني) والذي يعني "كثرة استخدام الألفاظ المنبوذة في اللغة أو استحداث أخرى عن طريق الكلام أو الدارجة أو المحكيّة"<sup>64</sup> وهذا بفضل التداخل بين اللغة الرسميّة والكلام الذي تنتجه الشفويّة في الشارع والبيت أو وسائل الاتصال الحديثة. وهذا يعني أنّ العنف اللساني إنّما هو إخلال بالبنية القيميّة للغة وكلّ البنيات الأخرى من قواعد نحوية وصرفيّة واشتقاقية وحتّى

صوتية. ذلك أنّ البيت والشارع وما يستخدم في وسائل الاتصال إنّما هو فعل الكلام أو فعل التلقظ وليس اللغة. لأنّ هذه الأخيرة "رسالة ووسيلة في نقل القيمة وليست فقط أداة للاتصال تدرس لذاتها وفي حدّ ذاتها"<sup>65</sup> فالنحو والاشتقاقات الصرفية والتغيّر الصوتي وغيرها تشكّل بنية قيمية وهي أساسية في اللغة لأنّ أيّ تغيّر في المبنى يفرض تغيّرا في المعنى. كما أنّ انتفاء النحو من اللغة يحولها إلى مجرد أصوات ويسبب اهتزازا في البنية القيمية التي هي سرّ وجود اللغة.

لا شكّ أنّ اهتزاز البنية القيمية قد زاد بشكل كبير مقارنة بما كان عليه سابقا، ذلك أنّ المحيط الاجتماعي له دوره في تقدّم اللغة وانتشارها أو تأخرها وانحسارها، وعرفنا سابقا أنّ الزمن له دوره في ذلك إذ كلّما رجعنا إلى الماضي وجدنا التحكّم في اللغة أكثر وكلّما تحركنا نحو المستقبل وجدنا الضعف يقوى ويسري بسبب اختلاط العربيّ بغيره من الأجناس الأخرى وهو ما يمثل دور المجتمع في إبراز مكانة اللغة أو انكماشها، المجتمع الذي لا يختلط أهله بغيرهم تبقى لغته محافظة على تماسكها وبنيتها كما هو الشأن في البوادي في حين تكون الأمور مختلفة في المدن حيث التواصل بين مختلف الأجناس فيسري الخطأ شيئا فشيئا وتآلفه الأذواق وتتعوده فيصبح من اللغة ولا يدركه إلا من يعود إلى المنابع الصحيحة لهذه اللغة. ثمّ إنّ لغة الاستعمال هذه - ومع وجود الخطأ بها - وبحكم طبيعتها الاجتماعية نجدها قد "تقدّمت وانتشرت ثقافتها في كلّ القطاعات في المجتمعات العربية الإسلامية، وهذا في عصر أوج نهضة الحضارة العربية الإسلامية وبخاصّة في المجالات العلمية والمعرفية"<sup>66</sup> ثمّ بدأ الانكماش وسرى الخطأ فيها سريان النار في الهشيم فإذا اللسان العربيّ الفصيح يكاد يكون منعما وبخاصّة عند مسؤولي الدول وممثلهم في المحافل الدولية.

#### 8 - تكريس الأمية الجديدة

تعدّ المدرسة - حديثا - نوعا من التأثير الاجتماعي في اللغة؛ إذ توفرّ البيئة الاجتماعية المناسبة التي تقوّي اللسان وتمكّن المتكلّمين والدارسين منه، حيث تسعى المؤسسة التعليمية إلى توظيف اللغة العربية الفصحى في كلّ مستوياتها الابتدائيّ والمتوسّط والثانويّ والجامعي غير أنّ "حصيلة شهادة هذه الأنظمة التربوية المنعكسة في النهاية في التكوين اللغويّ للطلاب والطالبة الجامعيين اليوم تفيد أنّهم على العموم أميين بالمعنى الجديد لكلمة الأمية"<sup>67</sup> حيث يتخرج الطالب في الجامعة وهو لا يكاد يكون قادرا على الكتابة ولا التحدّث السليم الخالي من الخطأ، ولا السهل المتسلسل بالعربية الفصحى ونعيش مع طلابنا فيتحدّثون في قاعات التدريس والمحاضرات في قضايا لغوية بحثية أو نقدية بلسان دارجي لا يختلف كثيرا عن لغة البيت أو السوق أو الشارع. وأذكر في السنوات الأولى لهذا القرن الواحد والعشرين وأنا أشرف على ندوة تربوية لأساتذة التعليم المتوسط لمادتي اللغة العربية والتربية الإسلامية قد طلب مني أحد الأساتذة أن أسمح له بأن يتحدّث بالدارجة. وأكّد الباحثون أنّ جيل المدرسة الجزائرية في اللغة العربية لا يكاد يركّب جملة واحدة باللغة العربية سليمة في حديث شفويّ، أمّا على مستوى الكتابة فقد بلغ موقعا من الرداءة قد لا يشرف أحدا<sup>68</sup>. وهو رأي خبير ميدانيّ يتعامل مع الطلبة الباحثين ويشرف على الرسائل الجامعية ويحضر المنتقيات الدولية. بل إنّ غيره يرى أنّ الطالب عندنا "لا يستطيع كتابة جملة صحيحة، دون الحديث عن الفرق بين العدد والمعدود، والأمر أدهى عندما تطالبه بكتابة عريضة ما، فلا يدري كيف يكتب حتى البداية.. كوارث لغوية لا يمكن تعدادها"<sup>69</sup> وهي شهادة خبير أيضا يترأس الآن المجلس الأعلى للغة العربية، يتحدث بمنطق المسؤولية وإدراك الحقيقة، ومن ثمّ يتعجّب من نسبة النجاح في البكالوريا التي كانت تقدّر ب70% وأنّ عدد الحاصلين على درجة امتياز تجاوز خمسة آلاف، وما ذلك في رأيه إلا تضليل وخرافة<sup>70</sup>. ولا شكّ أنّ الأسباب كثيرة ومتعدّدة منها ما يعود إلى:

1 - المؤسسات المكوّنة؛ فالطلاب "لم يدركوا في المدارس من أصول العربية إلا الشيء الأقلّ الذي لا يقمّم العثار في الإنشاء،

ولا يمكنهم من مجازاة الفصحاء البلغاء<sup>71</sup> ذلك أنّ المؤسّسات الرسميّة لم تعد كما كانت سابقا، فقد كثرت المواد على الطالب، والأستاذ مضبوط بوقت معيّن، وعليه أن ينهي الدروس التي أسندت إليه قبل نهاية السنة، وهناك العطل الرسميّة، وغيابات الأساتذة المفاجئة أو نتيجة الأعمال التي يقوم بها بأمر من مسؤوليه، والإضرابات التي تطول أحيانا، ويضاف إلى ذلك ما شاع في الجزائر من مصطلح (العَتَبَة) الذي يعني تحديد دروس امتحان البكالوريا، وغيرها من العوامل التي تجعل المادة ناقصة لدى الطلبة والمتعلّمين حتّى أحصى الخبراء أن عدد الأسابيع التي يدرسها المتعلّمون عندنا في الجزائر 18 أسبوعا من 33 أسبوعا في العام الدراسي كلّ عند غيرنا. وهذا من شأنه أن يجعل الطالب ناقصا في المادة العلميّة.

2- الطلبة أنفسهم، إذ نراهم يكتبون "بشهادات مدرسيّة وقعت في أيديهم، وإعراضهم عن كتب اللغة والأدب بدل العكوف عليها يطالعونها ويستفيدون ما فاتهم من المدارس"<sup>72</sup> ذلك أنّ المتخرّج في جامعة معيّنة بعد حصوله على الشهادة يعزف عن مواصلة القراءة والبحث وأنّ ما عنده لا يؤهله لأن يسبر أغوار النصوص للوصول إلى البنى العميقة فيه، لأنّ الشهادة غير كافية فهي لا "تبلّ لظامئ غليلا، ولا تنيله من الفوائد اللغويّة كثيرا ولا قليلا"<sup>73</sup> ولذلك نجد في ما يكتب من بحوث "خطأ مترادفا، وشذوذا عن القواعد، وجهلا للدقائق، وإثارا للمبتذل السخيف على الفصيح المتين من التراكيب والأساليب"<sup>74</sup>. والسبيل الوحيد الذي يجعله متمكّنا من اللغة، فصيحها فيها، على مستوى عال منها، هو الاستمرار في قراءة الكتب والوقوف على دقائق الأشياء وشواردها لفهم غامضها وتوضيح مغلقها وما غاب عنه أثناء مرحلة الدراسة. فهذه المطالعة هي وحدها "المدرسة الفذة التي يتخرّج منها\* الطالب الذكيّ متبحّرا في اللغة مستطاعا الكثير من خفاياها مجيدا في الإنشاء، متخيّرا أحسن الأساليب"<sup>75</sup> ولذلك قالوا: المطالعة غذاء المواهب. ولكن ممّا يؤسف له أنّ هذا الفنّ يكاد يكون مغيبا لدى الطلبة.

ظهر مصطلح (الأميّة الجديدة) في المجتمعات الغربيّة وبخاصّة في جامعاتها التي قرّرت بعضها عدم قبول طلبتها ما لم يُمتحنوا لغويّا. وحرص بعضها الآخر على تقديم دروس دعم للغة التي يدرس بها الطالب ممّا يدلّ على أهميّة اللغة في الدراسة، فغير القويّ فيها لا يمكنه أن يتخصّص في غيرها من التخصصات ولو كانت علميّة نظرا للعلاقة الوثيقة بين المقدرة اللغويّة واكتساب المعرفة على اختلاف أشكالها وأنواعها، وكذا مدى أهميّة المهارات اللغويّة في فهم واستيعاب المعرفة بل وحتّى تحديد نوعيّة عمليّة التفكير. وإذا كانت الأميّة تعني في المعاجم القديمة "الغفلة والجهالة، والأمّي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب"<sup>76</sup> فإنّ الأمّي في المصطلح الحديث "ذاك المتعلّم ذو المستوى العالي - كالتالي والأساتذ الجامعي - من التعليم والثقافة، ومع ذلك فهو غير قادر؛ لا على القراءة ولا على الكتابة ولا على الحديث بطريقة سليمة باللغة العربيّة الفصحى التي كان له معها احتكاك منذ المرحلة الابتدائيّة التعليميّة حتى المستوى العالي الجامعي"<sup>77</sup> فالأميّة الجديدة لها علاقة بإتقان اللغة الفصحى والتمكّن منها قراءة وكتابة وحديثا، لأنّ الباحث قد يكون على اطلاع كبير في تخصّصه غير أنّ عمليّة التواصل التي تكون بينه وبين غيره ليس باللغة الفصحى فهي إمّا أن تكون بلغة غير عربيّة وإمّا أن تكون بالدارجة/العاميّة.

## 8 - 1 - الأميّة الجديدة عند المحاضرين.

أقيمت دراسة على مستوى الأساتذة الذين يدرسون بالجامعة، واختارت الدراسة جامعتي قسنطينة بالجزائر، وجامعة الملك سعود بالمملكة العربيّة السعوديّة. وكان زمن الدراسة العقدين الأخيرين للقرن العشرين، وهما جامعتان في حدود البلاد العربيّة، الأولى في الحدود الغربيّة والثانية في الحدود الشرقيّة. قسنطينة مقرّ معهد بن باديس منذ الفترة الاستعماريّة، وبدأت الدراسة بها عام 1968. وجامعة الملك سعود أوّل جامعة في السعوديّة منذ 1982. كلّ من الجزائر والسعوديّة قد استقطبت الأساتذة المهاجرين من مختلف الدول العربيّة، وقد سجّلت الدراسة جملة من الملاحظات منها: "ليس هناك إلا قلة من أعضاء

التدريس (بما في ذلك من يدرّس اللغة العربيّة نفسها) التي يبدو أنّها لا تزال تحاول التدريس بالفصحى<sup>78</sup> وهذا يعني أنّ الأغلبية تدرّس بالعاميّة وهي عاميّة مختلف الدول العربيّة باعتبار أنّ السعودية يدرّس بها أساتذة بجنسيّات عربيّة مختلفة شرقا وغربا، والشيء نفسه بالنسبة لقسنطينة. والحاصل أنّ الطالب في إحدى الجامعتين يتلقى دروسه بعاميّات مختلفة عراقية أو سورية أو أردنية أو تونسية أو مغربية بالإضافة إلى الجزائرية. طبعاً كان هذا في نهاية القرن الماضي أما الآن فالعاميّة الغالبة هي الجزائرية. فإذا كان أستاذ البلاغة عراقياً وأستاذ النحو مصرياً وأستاذ الأدب الجاهلي أردنياً وأستاذ العروض مغربياً وكلّ يتحدّث بدارجته فكيف يتعلّم الطالب اللغة الفصحى ويتقنها؟! وهل يمكن لنا القول إنّ للجامعات دوراً في تعريب المجتمع العربيّ، وما يقال عن جامعتي قسنطينة والملك سعود يقال عن باقي جامعات البلاد العربيّة وهكذا يصير استعمال الفصحى بعيداً كلّ البعد عن أن يكون صفة للجامعات ويصير العكس هو الصحيح إذ هذه الجامعات (العربية) تتركّس العاميّة وتعرّز مركزها في دولنا (العربية).

إذا كانت اللغة العربية داخل قاعات التدريس والمحاضرات في جامعاتنا بهذا الشكل، فخارج قاعات التدريس أسوأ إذ قلّما يتحدّث الأستاذ - في ندوة علمية أو مناقشة رسالة أو اجتماع مجلس قسم ... - بلسان عربيّ فصيح. والمتتبع للمناقشات الفكرية على شاشات التلفزيون لأساتذة جامعيين يجد أنّهم يلحنون كثيراً إذا ما تحدّثوا بالفصحى، وإذا قرأ أحدهم نصّاً فلا حركة من حركات الإعراب في مكانها، وبخاصّة النصّ القرآني. إذ المرفوع مجرور والمنصوب مرفوع، والمرفوع مجرور أو منصوب.

## 8 - 2 - الأمية الجديدة داخل أقسام الطلبة

يتفق كثير من الدارسين على أنّ مستوى الطلاب في اللغة العربية بعد التخرج في جامعاتهم لا يرقى إلى المستوى المطلوب، فقد لاحظ الدكتور صالح بلعيد يوم كان عضواً للمجلس الأعلى للغة العربية "تردّي المستوى في مراحل التعليم توظيفاً وأداءً، وإنّ هذا التردّي ينذر بالخطر"<sup>79</sup> فقلّما تجد طالبا يجيب عن سؤال بالفصحى وإذا أكره على ذلك فإنّ النحو سيسقط مغشياً عليه إذ يتساوى المرفوع والمنصوب والمجرور في حديث الطالب، وأشهد أنّي \* كنت - أحيانا وأنا ألمي عليهم بعض النصوص - أتعمّد الخطأ فلا أحد ينتبه. كما أشهد أنّي وجدت - أثناء تصحيح أوراق الطلبة - ثلاث إجابات كتبت فيها تاء التأنيث مغلقة. وقد قدّم الدكتور (السليمان السويص) رئيس قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود شهادة عن تدهور اللغة العربية فقال: "... لا يفرّق كثير من الطلاب بين الفعل والاسم، فلو طلب من أحدهم إعراب جملة (السور عال) مثلا، فأهب نفسك حتّى لا تفاجئك إجابته بأن (السور) فعل مضارع مرفوع، وإذا أوجعتك إجابته إجماعاً شديداً لكنك كظمت غيظك وطلبت منه إتمام الإعراب، فمن الراجح أن يضيف قائلنا (مرفوع بالفتحة) ... وقس على هذا"<sup>80</sup> وهذا صحيح نجده عند الكثيرين من طلابنا. ولعلّ من أسباب ذلك التردّي أنّ الذين يلتحقون بكلية اللغة والأدب العربي هم في ذيل قائمة الناجحين في البكالوريا. إنّ حاملي الشهادات الجامعية يحتاجون إلى إعادة القراءة من جديد، فالذين ينجحون في مسابقات التوظيف - وقد كانوا طلبة جامعيين - سواء في التعليم المتوسط أم الثانوي كثيراً ما يخطئون - في بدايات توظيفهم - في قواعد النحو والإملاء (وقد أشرفت على التعليم المتوسط والثانوي) سواء أكانوا خريجي الجامعة أم المدرسة العليا. فإنّ أخطاءهم كثيرة بحيث لا ينتهون إلى المرفوعات أو المنصوبات أو المجرورات، والشيء نفسه نسمعه في نشرات الأخبار وتقديم البرامج الإذاعية والتلفزيونية.

إنّ الحفاظ على هذه اللغة هي حفاظ على هذا الدين، وإنّ إتقانها فهم للقرآن الذي ما كانت العلوم العربية إلا من أجل

فهمة، فإذا تركنا هذه اللغة وكثرت أخطاؤها فيها فكيف لنا أن نقرأ هذا القرآن قراءة صحيحة. وتعاملنا مع بنيته العميقة التي تحتاج إلى التبخر فيها.

وقد اتهم خصوم هذه اللغة - وقد كانوا يكتبون بها - بأنها لغة صعبة ومن ثم فلا حاجة لتضييع الوقت في دراستها كما فعل سلامة موسى عندما قيل له إنك تلحن في اللغة، فردّ قائلاً: "إن هذه التهمة حجة على اللغة وليس هي بالحجة علي؛ فإنني الآن في العقد الرابع من عمري أحترف الكتابة منذ عشر سنوات وأقرأ من كتب الأدب مهجورها ومنشورها فإذا كنت بعد ذلك أعجز عن الأداء بها فهي إذاً أحقّ باللوم مني، ونحن جديرون بأن نبحت عن لغة أخرى نوّدي بها أغراضنا بدلا من هذه اللغة التي تقتضي من الدرس عشرات السنين ثم لا يحسن بعد ذلك دارسها كتابتها"<sup>81</sup>. غير أنّ الرجل يظنّها لهجة من اللهجات يمكن الاستغناء، إنّ الذي نزل بها كلام الله، وهو كلام الكامل الذي لا نقص فيه فما من شك أنّ لغته كاملة، وإذا كان (رابليه) - أول من ألف بالفرنسية سنة 1532 التي خرجت عن اللاتينية توفي 1535 - قد كتب بغير اللاتينية فأنشأ الفرنسية. وإذا كانت اللاتينية والرومانية قد انتهى عهدهما فإنّ العربية لا يمكنها أن تتوقّف ولو أردنا ذلك. لأنّها لغة القرآن، الذي سيبقى ما دامت الحياة. وهذه الصعوبة التي يتحدّث عنها هي فقط في خياله ليوهم بها أهلها، وليواصل السير في خطى ولكوكس و قاسم أمين ولطفي السيد وغيرهم، وفي الوقت الذي يقفون هذا الموقف من اللغة العربية يقف غربيّ موقف آخر منها فيقول: "لقد فهمت أنّ اختراع الإعراب ليس - كما يزعم أكثر المستشرقين - اختراعا باطلاً، وإنّما هو توخّد صحيح، وربط بين الأسماء والأفعال المضارعة والجمل التي لها محلّ من الإعراب، وهذا فضل للغة العربية، فضل عظيم لا يمكن المحافظة عليه إلا بالاستمسك بالكتابة العربية، أمّا الاعتراض بأنّ هذا إبقاء للتعقيد، فأجيب عنه: بأنّ هذه رياضة مثل اختراع الروي لصناعة الشعر"<sup>82</sup> فالرجل يقرّ بالعبقريّة التي أبدعت الإعراب العربيّ، والإعراب هو الإبانة وهو فعلا المقصود من الإعراب، فالرفع والنصب والجرّ ليس اعتباريا ولكن تعبيرا مع معان دقيقة تزيل كلّ غموض، وقد رد على بني جنسه وأتباعهم - من الشرقيين الذين يرون في الإعراب العربيّ اختراعا باطلا - أنّه الترابط الصحيح بين مصطلحات النحو العربيّ من اسم وفعل مضارع، وجملة إعرابية وغير إعرابية، ويؤكد أنّ هذا فضل كبير لها يتطلّب للمحافظة عليها التمسك بكتابتها. ونفى أن يكون بها تعقيد؛ والتعقيد الذي يرونه إنما هو - رياضة مثله كمثل الروي وهو الحرف الأخير في البيت الشعريّ في القصيدة العربية.

في الوقت الذي يرى أعداء هذه اللغة أنّها لغة بدويّة لا تليق بالحضارة ويجب أن يكون مكانها المتحف كغيرها من اللغات القديمة يرى ماسينيون غير ذلك؛ أنّها "لغة حضارة تستطيع بألفاظها وتراكيبها أن تؤدّي أدقّ المعاني، وفي نحوها كمال ودقّة لم تتوافر لأيّ نحو آخر، وربّما امتدّت إليها آثار يونانيّة أو سريانيّة، ولكنّه النحو العبريّ والسريانيّ. وجدير بنا - والكلام لماسينيون - ألا نستجيب لدعوة البعض الذين يريدون أن يحلّوا محلّه نحواً أوروبياً، ليتيسّر تعليمه، ولا يصحّ مطلقاً أن نعدّل أصوله"<sup>83</sup>. وما كان لماسينيون أن يقول هذا الكلام عن اللغة العربية ونحوها ليخادع بها نفسه ويخادع بها غيره، ولكن هكذا رآها من خلال دراساته لها أثناء تعامله مع شعر الحلاج، والطواسين لابن عربي وغيرهما.

أبدع الطبري صاحب التفسير وكأنه كان يتوقّع ما سيكون مستقبلا لهذه اللغة التي لا تصل إليها لغة أخرى عندما ذكر في مقدّمة تفسيره قائلاً: "وأول ما نبدأ به من القيل في ذلك: الإبانة عن الأسباب التي البداية بها أولى، وتقديمها قبل ما عداها أخرى، وذلك: البيان عمّا في آي القرآن من المعاني التي من قبلها يدخل اللبس على من لم يعان رياضة العلوم العربية ولم تستحكم معرفته بتصاريف وجوه منطلق الألسن السليقيّة الطبيعيّة"<sup>84</sup>. فالطبري المتوفى سنة 310هـ أي في بداية القرن الرابع الهجري حيث المدارس اللغوية في أوجها، ومع ذلك يشير إلى أن هناك من لم يتدرّب على هذه اللغة ولم يستحكم دقائقها ولم

يتمن من قواعدها، وهذا قطعاً لا يمكنه أن يصل إلى فهم مقاصدها ومقاصد قرآنها.

9 - الخاتمة:

إنّ الضربات التي لحقت اللغة العربية لم تزدها إلا شموخاً وتحدياً، ولم تزد الناطقين بها إلا إصراراً على التمسك بها وتطويرها، وجعلها لغة العلم والأدب، والفكر الفلسفة، لأنّها لغة اختارها الله لقرآنه وما يحتويه من معانٍ لا يقدر على محاكاتها البلغاء والفصحاء ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، فإذا اختارها الله لتكون حاملة لآخر كتابه المعجز الخالد الذي يتحدّى الجميع، فيسقط أمام بلاغته كلّ شاكّ فيه أو معاند له، وكثيراً ما استسلم أمامه كبار العلماء الذين بهرتهم لغته التي لا يستطيع أحد معارضتها. فلن تكون عاجزة على أن تحمل معاني البشر مهما كانت أفكارهم وإنتاجاتهم، لأنّ قاموسها اللغويّ الذي يفوق عدده اثني عشر مليوناً من المفردات لن يعجز عن أن يوضّح أيّ شيء يريد صاحبه. وهذا لا يكون إلا بدراستها ومعرفة اشتقاقاتها، ونحوها وصرفها وإملائها، والتفرغ لها وإعطاء الجهد المناسب بالتفتيش في كنوزها. وإذا كان القرآن كلام الله، فإنّ دراسته وفهمه والاستفادة منه لا يكون بترك هذه اللغة التي كتب بها، ولكن بإتقانها ومعرفة دقائقها والاعتزاز بها والتمسك بقواعدها وتصديرها للآخر ليعرفها الجميع.

## المصادر المراجع

1 القرآن الكريم برواية ورش

2 أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ط4/ د ت، ج1، ص 36<sup>1</sup> أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، ط5/1986.

3 أحمد شاميّة، خصائص العربيّة والإعجاز القرآني (في نظريّة عبد القاهر الجرجاني اللغويّة)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، (د، ر، ط) 1995.

4 إسماعيل الكيلاني، لماذا يزيّفون التاريخ ويعبثون بالحقائق، المكتب الإسلامي، ط2/1993.

5 الطبري، تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: بشار عواد معروف، وعصام فرس الحرستاني، مج1، مؤسّسة الرسالة - بيروت، ط1/1994.

6 أمين آل ناصر الدين، دقائق العربيّة، مكتبة لبنان، ط3/1986.

7 أنور الجندي، تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة تحاصر الإسلام وتحمل لواء هدم قيمه الاساسية، مكتبة التراث الإسلامي، 1993.

8 إيلي الرضي، لويس ماسينيون، المركز الثقافي للكتاب - الدار البيضاء - المغرب، ط1/2019.

9 تركي رايح، التعليم القومي والشخصيّة الوطنيّة، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع - الجزائر، ط3/1983.

10 جبر ضومط، الخواطر الحسان في المعاني والبيان، مطبعة الوفاء - بيروت، ط2/1930.

11 جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3/1414، ج1.

12 جهاد فاضل، في حركة الحدائث الشعريّة العربيّة، جريدة الرياض العدد 14192، الخميس 2007/05/03.

- 13 حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصحّحه وشرحه ورّبه: أحمد أمين وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987.
- 14 حافيظ إسماعيلي علوي وآخرون، اللسان العربي وإشكالية التلقي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1/2007.
- 15 رشيد رضا، مقدّمة الطبعة الثانية لكتاب مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط2، ج2.
- 16 سلامة موسى، اليوم والغد، مؤسّسة هنداوي، د ط، دت.
- 17 شوقي ضيف، الخصائص النحويّة، دار المعارف، ط7.
- 18 صالح بلعيد، سوء إتقان اللغة العربيّة - رأي في المسألة، أعمال الندوة الوطنية المنعقدة يومي 4 و 5 المحرم 1421 الموافق 10 و 9 أبريل 2000، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة الجزائر يونيو 2000.
- 19 عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2/1988.
- 20 عبد الرحمن حسن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير والاستشراق والاستعمار، دار القلم، ط8/2000.
- 21 عبد المالك مرتاض، إتقان العربيّة في التعليم - أعمال الندوة الوطنيّة المنعقدة يومي 4/5 المحرم 1421 الموافق 10/9 أفريل 2000.
- 22 فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، مراجعة مالك يوسف المطليبي، دار آفاق عربية، 1985.
- 23 لويس عوض، بلو تولاند وقصائد آخر من شعر الخاصّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط2/1989.
- 24 مجمع اللغة العربيّة - القاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4/2004.
- 25 محمد البشير الإبراهيمي، آثَارُ الإِمَامِ مُحَمَّدِ البَشِيرِ الإِبْرَاهِيمِيِّ، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1/1997، ج5.
- 26 مرعي بن يوسف المقدسي، مسبوک الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب، تح: نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط1، 1990.
- 27 مصطفى صادق الرافعي، زجي القلم، دار الكتب العلميّة، ط1/2000، ج2، 3.
- 28 ناصر عبود قاسم، الدّعْوَةُ إِلَى العَامِيَةِ نَشْأَتُهَا وَدُعَاؤُهَا، موقع شبكة المدارس الإسلاميّة.
- 29 صلاح حسن رشيد، لويس ماسينيون وعبقريّة العربيّة- الحياة- القاهرة- 2003/05/11.
- 30 محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، مؤسّسة الرسالة، ط4/1984، ج2.

#### الرسائل الجامعية:

- 1 محمد حمّراس، الشعر الحدائي من الماديّة إلى الصوفيّة عبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور أنموذجا، رسالة دكتوراه بجامعة سيدي بلعباس.

## المجلات:

- 1 إسكندر المعلوف، مجلّة الهلال، العدد 15، بتاريخ 1902، ص 376
- 2 صالح بلعيد، الإصلاح التربوي والتردي اللغوي، الممارسات اللغوية المجلد 03، العدد 03.
- 3 عيسى إسكندر المعلوف، اللهجة العربية العامية، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الثالث.
- 4 لغتنا الجميلة لماذا لم تعد جميلة، مجلة اليمامة، العدد 741، ص 354

## المواقع الالكترونية

- 1 محمد مرباح البجموي، التنصير و خطره على الأمة الإسلامية، موقع الألوكة بتاريخ: 2009/11/08.

## هوامش البحث:

- <sup>1</sup> عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2/1988، ص475.
- <sup>2</sup> ينظر المصدر نفسه، ص753.
- <sup>3</sup> المصدر نفسه، ص763
- <sup>4</sup> م ن، ص754
- <sup>5</sup> م ن، ص762
- <sup>6</sup> م ن، ص753
- <sup>\*</sup> هناك مؤلفات أخرى أذكر منها "درة الغواص في أوهام الخواص" الحريري ت 516، "المدخل إلى تقويم اللسان" لابن هشام ت 577. "تقويم اللسان" لابن الجوزي ت 597، "تصحيح التصحيف وتحريف التحريف" للصفدي ت 764، "التنبيه على غلط الجاهل والنبه" لابن كمال باشا ت 940. "خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام" لابن بالي القسطنطيني ت 992
- <sup>7</sup> فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، مراجعة مالك يوسف المطليبي، دار آفاق عربية، 1985، ص 24
- <sup>8</sup> أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، ط5/1986، ص 69.
- <sup>9</sup> أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4/ د ت، ج1، ص 36
- <sup>10</sup> أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص70
- <sup>11</sup> م ن، ص70.
- <sup>12</sup> م ن، ص71
- <sup>13</sup> م ن، ص71
- <sup>14</sup> أحمد شامية، خصائص العربية والإعجاز القرآني (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د)، ر، ط) 1995، ص75.
- <sup>\*</sup> فقيه، علامة، مقري، كان قاضي مرو، ويقال إنه من نقط المصاحف، وكان من فضلاء الناس وعلمائهم.
- <sup>15</sup> سورة التوبة الآية 24
- <sup>16</sup> شوقي ضيف، الخصائص النحوية، دار المعارف، ط7، (د)، ر، ص 11
- <sup>17</sup> جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3/1414، ج1، ص 8.
- <sup>18</sup> عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ص 770
- <sup>19</sup> تربي راجح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، ط3/1983، ص 104
- <sup>20</sup> محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1/1997، ج5، ص 261.

- 21 م ن، ج 3، ص 399.
- 22 م ن، ص 399.
- 23 م ن، ص 400.
- 24 م ن، ص 400.
- 25 عبد الرحمن حسن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافها التبشير والاستشراق والاستعمار، دار القلم، ط8/2000، ص 361.
- 26 ناصر عيود قاسم، الدَّعْوَةُ إِلَى الْعَامِيَّةِ نَشْأَتُهَا وَدُعَاؤُهَا، موقع شبكة المدارس الإسلاميَّة.
- 27 محمد مرباح الجمعوي، التنصير و خطره على الأمة الإسلاميَّة، موقع الألوكة بتاريخ: 2009/11/08.
- 28 سلامة موسى، اليوم والغد، مؤسَّسة هنداوي، ص 62.
- 29 م ن، ص 62.
- 30 م ن، ص 62.
- 31 إسكندر المعلوف، مجلَّة الهلال، العدد 15، بتاريخ 1902، ص 376.
- 32 م ن، ص 376.
- 33 م ن، ص 377 وكذلك: محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنيَّة في الأدب المعاصر، مؤسَّسة الرسالة، ط4/1984، ج 2، ص 363.
- 34 الهلال، ص 377.
- 35 شبلي النعماني، نقد تاريخ التمدن الإسلامي، مجلة المنار، ج 15، ص 58.
- 36 م ن، ص 58.
- 37 عيسى إسكندر المعلوف، اللهجة العربيَّة العاميَّة، مجلة مجمع اللغة العربيَّة، العدد الثالث، ص 350.
- 38 ينظر: المرجع نفسه، ص 363.
- 39 محمد البشير الإبراهيمي، أثارُ الإمام مُحَمَّدَ البَشِيرِ الإِبْرَاهِيمِي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1/1997، ج 5، ص 27.
- 40 محمد حمراص، الشعر الحدائي من الماديَّة إلى الصوفيَّة عبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور أنموذجا، رسالة دكتوراه بجامعة سيدي بلعباس، ص 91.
- 41 جهاد فاضل، في حركة الحدائنة الشعريَّة العربيَّة، جريدة الرياض العدد 14192، الخميس 2007/05/03..
- 42 إسماعيل الكيلاني، لماذا يَرتَقون التاريخ ويعيثون بالحقائق، المكتب الإسلامي، ط2/1993، ص 327.
- 43 سلامة موسى، اليوم والغد، مؤسَّسة هنداوي، د ط، د ت، ص 139.
- 44 م ن، ص 138.
- 45 لويس عوض، بلو تولاند وقصائد آخر من شعر الخاصَّة، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ط2/1989، ص 17.
- 46 نفسه، ص 12.
- 47 إسماعيل الكيلاني، لماذا يَرتَقون التاريخ ويعيثون بالحقائق، ص 330.
- 48 مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، دار الكتب العلميَّة، ط1/2000، ج 2، ص 262.
- 49 أنور الجندي، تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة تحاصر الإسلام وتحمل لواء هدم قيمه الأساسيَّة، مكتبة التراث الإسلامي، 1993، ص 196.
- 50 حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصحَّحه وشرحه ورَتَّبَه: أحمد أمين وآخرون، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب 1987، ص 253.
- 51 رشيد رضا، مقدِّمة الطبعة الثانية لكتاب مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط2، ج 2، ص 14.
- 52 م ن، ص 13.
- 53 م ن، ص 15.
- 54 م ن، ص 15.
- 55 م ن، ص 15.
- 56 م ن، ص 15.
- 57 مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج 3، ص 137.
- 58 جبر ضومط، الخواطر الحسان في المعاني والبيان، مطبعة الوفاء - بيروت، ط2/1930، ص 1.
- 59 مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج 3، ص 207.

- 60 محمد البشير الإبراهيمي، أثارُ الإمام مُحَمَّدَ البَشِيرِ الإِبْرَاهِيمِي، ج4، ص 18.
- 61 ينظر المرجع نفسه، ج3، ص 207
- 62 مرعي بن يوسف المقدسي، مسبوكة الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب، تح: نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية – الرياض، ط 1، 1990، ص 63.
- 63 إسماعيل الكيلاني، لماذا يزتفون التاريخ ويعيثون بالحقائق، ص 318
- 64 حافظ إسماعيلي علوي وآخرون، اللسان العربي وإشكالية التلقي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1/2007، ص 13
- 65 م ن، ص 14.
- 66 ينظر: م ن، ص 43
- 67 م ن، ص 44
- 68 عبد المالك مرتاض، إتقان العربية في التعليم - أعمال الندوة الوطنية المنعقدة يومي 4/5 المحرم 1421 الموافق 9/10 أبريل 2000، ص 5
- 69 صالح بلعيد، الإصلاح التربوي والتردي اللغوي، الممارسات اللغوية المجلد 03، العدد 03 ص 12.
- 70 ينظر المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- 71 أمين آل ناصر الدين، دقائق العربية، مكتبة لبنان، ط3/1986، ص 13
- 72 م ن، ص 14
- 73 م ن، ص 14.
- 74 م ن، ص 14
- \* الصواب يتخرج فيها لأن هنا تضمين إذ يتخرج هنا بمعنى يتكون .
- 75 م ن، ص 14.
- 76 مجمع اللغة العربية – القاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4/2004، ص 27
- 77 حافظ إسماعيلي علوي وآخرون، اللسان العربي وإشكالية التلقي، ص 47/46
- 78 م ن، ص 47.
- 79 صالح بلعيد، سوء إتقان اللغة العربية - رأي في المسألة، أعمال الندوة الوطنية المنعقدة يومي 4 و 5 المحرم 1421 الموافق 9 و 10 أبريل 2000، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر يونيو 2000، ص 28
- \* الضمير يعود على صاحب المقال.
- 80 لغتنا الجميلة لماذا لم تعد جميلة، مجلة الإمامة، العدد 741، ص 354
- 81 سلامة موسى، اليوم والغد، ص 60
- 82 إيلي الرضي، لويس ماسينيون، المركز الثقافي للكتاب - الدار البيضاء - المغرب، ط1/2019، ص 47 نقلا عن مقال: صلاح حسن رشيد، لويس ماسينيون وعبقريّة العربية- الحياة- القاهرة- 2003/05/11.
- 83 م ن، ص 47
- 84 الطبري، تفسير الطبري – جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: بشار عواد معروف، وعصام فرس الحريستاني، مج1، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1/1994، ص 28